

القَوَسُ الْعِذْرَاءُ

أَبُو فُهْر
محمود محمد شاكر

القوس العذراء

أبوفهرا
محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَصَلَّى اللَّهُ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ذِكْرُ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ فِي غُصْنِكَ
وَالَّذِي يَرُوعُ بِسَرِّهَا سُرُورٌ
وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَابَ فِي عُودِهَا
تَحْتَ الذِّكْرِ الْحَيِّ مَهَادٌ مُبْلَغٌ
سَكَنَتْ نَايَا عَمِيقِ الْمَدَى
بِقِي الصَّدَقِ مِنْ بَنْفِجَةِ الشَّتَلِ

فِي الرِّيحِ .. أَسْمَعَتِ الدُّعَاءَ الرَّهَقِيَّ
يَنْفُخُ فِي الْأَرْغِفَالِ نَوْحَ النَّمْلِ

وَفِي يَدِ الْقَوَّاسِ .. كُنْتَ الْأَرْحَى
تَنَادَمَتْ فِيهِ بَقَايَا أَمَلٍ

وَفِي يَدِ الرَّاحِي .. رَدَّتْ لَهَا
يَتَنَادُّ عَنْهَا كُلُّ صَبِيدٍ غَفَلٍ

وَفِي ضَمِيرِ الْعَمَشِ .. أَتَوَلَّيْتُهَا
مَنَائِلَ الْوَفَى بِخَطِّهِ الرِّسْلِ

أَنْبَتِي غُضْنَا ، وَأَنْطَقْتِي
لَحْنًا جَرِيحَ الشَّرِّ أَنِّي هَدَلُ
عَلَى رَأْبٍ قَلْبِي .. عَلَى
أَوْتَارِ مِنْهُرٍ جَدِيدٍ أَطْلُ
يَنْفُورُ ، وَيَزُورُ .. وَيُوحِي الصَّدَى
لِلصَّوْتِ ، وَالشَّرُّ لَوْضًا أَفْلَا
وَيَرْثِيكَ الشَّرُّ إِذَا عَنِ قَصْدِي
فِيهِ لَيْسَ النَّفْسُ أَشَقَى مِثْلًا

غَيْثِي.. فَأَنْصَرْتُ عَالِمًا

مِنْ نَفْعِي فِي دَنْهَا لَمْ تَزَلْ

دَوَّيْتُهَا نَوْرًا.. وَشَفَقْتُهَا

عَذَاءً.. فِي خُلْدِ ضَمَاهِ أَهْلٍ

تَنَقَّى بَلْفٌ مَا يَشَاءُ الرَّهَقَ

وَأَخْتَلَّ تَنَقَّى رَحِيمُ الْأَمَلِ

لَأَسَانٍ فِي نَاعِي.. عَصَرْتُ الصَّبَا

فِي لَحْنِهِ ذُرْعَى زَمَانٍ رَعَلًا

ماضٍ، وآتٍ، وَدَعَىٰ افْرِضَتْ
 فِيهِ رُفْعًا مِّنَ الْأَرْكَانِ شَقْلُ
 مَا هِيَ قَوْسٌ فِي يَدَيْهِ نَابِلٍ ..
 وَإِنَّمَا الْفَاعُ سَحْبٌ نَزَلُ !!

الحسين ١٦ مازو القعدة ١٣٨٤ هـ

حنا امعل
 مجموع

قوس الشِّمَّاح

الشَّمَاحُ بن ضِرَارٍ الغطفاني :

واسمُه : مَعْقِل ، وَكُنْيَتُه : أَبُو سَعِيد . شاعرٌ
 فحلَّ ، صحابيٌّ أدرك الجاهليَّة ثم أسلم . وهو أحدُ غُورَانِ
 قيسِ الخمسةِ من فحول الشعر : ابن مُقْبِل ، والرَّاعِي ،
 والشَّمَاحُ ، وابنِ أَحمر ، وَحُمَيْدُ بن ثُورٍ . وَعَلَى غُورِهِ كانَ
 وصافاً ، أجَادَ صِفَةَ حُمْرِ الوحشِ . أُشِيدَ الوليدُ بن
 عبد الملك شيئاً من شعره في صِفَتِها فقال : « ما أوصَفَ لها !
 إني لأَحْسِبُ أَحَدَ أَبَوَيْهِ كانَ حِمَارًا ! » وذلكَ لأنَّه كانَ
 يتدسَّسُ في ضُمائرِ الحُمُرِ فينطِقُها بما تَكْتُمُ ! غزا في فتوح
 عُمَرُ رضي الله عنه ، وشهد القادسيَّة ، ثم غزا أذْرِيجَانَ مع
 سعيد بن العاصِ ، فاستُشْهِدَ في غزوةِ مُوقَانَ ، سنة أربع
 وعشرين من الهجرة ، على عهد عثمان ، رضي الله عنهما .

- (١) حَلَاها : طردها عن الماء ومنعها ، والضمير لَحُمُرِ الوحش . وذو الأراكة : موضع ماء . والخُضْرُ : قَبيلةٌ منها عامر الخُضْرِيُّ الرامى ، مُعَمَّر (رضى الله عنه) ، له حديث واحد عن رسول الله ﷺ ، له ترجمةٌ فى الإصابة لابن حجر ، وذكر أنَّ حديثه رواه أحمد ، وغاب عني فى المسند . ولكن رواه أبو داود فى السنن فى كتاب الجنائز « باب الأمراض المكفرة للذنوب » .
- (٢) الثَّلاذ : المال القديم الموروث . تَارِز : الذى ييس فى مكانه ومات ..

- (٣) الزُّرْق : السهام فى شدة بياضها . والرَّمْيُ : المرمى . والنع : شجر تُتخذ منه القسي ، أصفر . والجلائز : عصب يُلَوَّى على القوس ليَشُدَّها من غير عيب بها .

١ ... فحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَِةِ عَامِرٌ
أَخُو الْخُضَرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

٢ قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،
كَأَنَّ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزٌ

٣ مُطْلًا بَزُرْقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيْهَا ،
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعٍ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

(٤) الضال : شجر تُتخذ منه السهام كالنِيع ، أصفر ، طيب الرائحة .
الشَّدَب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة .

(٥) كَنَّها : سترها في كِنٍ . والغِيل : الشجر الملتف ، ويسكنه الأسد ويحميه . وشجر متلاحز : متضايق دخل بعضه في بعض .

(٦) يَنْجُو : يقطع ما يؤذى . يَنْقَلُ : يدخل في شيء متلاحم على مشقة .
بارز : ظاهر للشمس .

(٧) أَنْحَى عليها : قصد وأقبل يقطعها . وَغَراب الفأس : حُدُّها المرفف .
والعِضَاه : شجر عظيم ذو شوك . مشارز : شرس ساء الخلق .

٤ تَخَيَّرَهَا الْقَوَّاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ
لَهَا شَذَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

٥ نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَا حِزُ

٦ فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
وَيَنْغَلُّ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

٧ فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

(٨) أَرَوْرُ : مال وأعرض . من يُحَاوِرُ : من يخالطه من أصحابه الذين في حوزته .

(٩) مَظْعَمَا : وضعها في حرّ الشمس لتشرب ماء لحائها . واللَّحَاءُ : قشر العود . وغمز العود : جسده ، لكي ينظر أين يُلَيِّنُهُ ويقيمه .

(١٠) الثَّقَافُ : خشية في طرفها خَرَقٌ يتسع للقوس ، فتدخل فيها وتغمر حتى تُسَوَّى . والطريدة : قصبة مجوّفة خشنة الجوف تُدْخَلُ فيها القوس لتُبرّى قشربها . الدرة : العوج . والشَّمُوسُ : الفرس العصية الجموح . والمهامز (جمع مِهْمَاز) : تنخس به الدواب لتستقيم . وتقويم ضغننا : تأديبها حتى يلين قيادها .

(١١) ذاق : جَذَبَهَا ليختبر شدتها أو لينها . وكَفَى : أي كَافٍ لا يزيد عن الحاجة . ويُغْرِقُ السهم : أي يستوفى جذبها فيلين ، فرمما قطع السهم يد الرامي . يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم .

٨ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتُ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزَّوَرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

٩ فَمَطَّعَهَا عَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،
وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

١٠ أَقَامَ الثَّقَافَ وَالطَّرِيدَةَ دَرَاهَا ،
كَمَا قَوَّمتْ ضِغْنَ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ

١١ وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

(١٢) أنبض القوس : جذب وترها ، فإذا أطلقه نَبَضَ وَرَنٌ . الشكلى : التى مات ولدها . والجناز (جمع جنازة) : وهو الميت نفسه هنا .

(١٣) هَتُوف : لها صوت عال . وحذف جواب « إذا » كأنه معلوم لاشك فيه ، أى إذا أصابه السهم مات على المكان . ريع : دُعر . وأسلمته : خذلته ولم تحمله . والنواقر : قوائم التى يَتَقَرَّبُ بها ، أى يقفز .

(١٤) الزعفران : من الطيب ، أصفر ، من زينة النساء ولاسيما فى العرس . وتُجِيرُه : تصبّ فيه الماء لتذيبه . والخوازن : النساء التى تخزنه . والكواثر : التى تكنزه فى وعاء ، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته .

(١٥) الأنداء (جمع ندى) : وهو بلل الصباح . أشعرت : ألبست . والحبير : ثوب مُوشى من الحرير الناعم . والمعاوز : الثياب الخَلِقة يلبسها المساكين . لم تُدرج : لم تُطَوَّعَ عليها ، بل تصان بالحرير .

١٢ إِذَا أَبْضَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرْتَمَتْ
تَرْتَمْ تَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

١٣ هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الطَّبِي سَهْمُهَا !
وَأِنْ رِيْعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

١٤ كَانَ عَلَيْهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَارٍ يَمَانٍ كَوَانِزُ

١٥ إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صَيَنْتِ وَأَشْعَرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج . ويبيّع : مشتري يحسن البيع والشراء . والسّوم : المساومة . ورائز : مختبر لشدتها وثقلها .

(١٧) هل تشتريها : هل تبيعها ؟ . والثّلاذ : المال القديم الموروث . والحرائز : التي تُحرّز ولا تباع لنفاستها .

(١٨) الشرعى : من أجود الثياب وأغلاها . والسيراء : ثياب مخططة نفيسة . أو أواق : « أو » بمعنى واو العطف هنا ، والأواق (جمع أوقية) وهى من الموازين . ونواجز : حاضرة غير مؤجلة .

(١٩) ثمان : يعنى ثمانى أواق من الذهب . والكُورى : منسوب إلى كور الصائغ الذى توقد فيه النار ، يعنى ذهباً مصوغاً . أذكى النار : ألقى عليها ما تذكّو به ، أى تشتعل ويشتدّ لهبها . والخابز : صانع الخبز على النار .

١٦ فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَأَنْبَرَى
لَهَا بَيْعٌ يُغْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِزُ

١٧ فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا بَيْعَ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ !

١٨ فَقَالَ : إِرَارُ شَرْعِيٌّ ، وَأَرْبَعُ
مِنَ السَّيَرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

١٩ ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ

(٢٠) بُرْدَان : تثنية بُرْد ، والخال : موضع تصنع به الثياب النفيسة الرقيقة .
وعلى ذاك : أى مع ذاك . والمقروظ : المدبوغ بالقرظ . والماعز : جلد المعزى ، وهو من
أجودها .

(٢١) أميرها : الذى يؤامره ويشاوره . ويجاوز : يتركه ويمضى .

(٢٢) لاهز : دافع مانع .

(٢٣) شراها : باعها . وحزاز : قاطع يحز حَزًا شديدًا . والوجد : أشد الحب
وأحره . وحامز : مُمِضٌ مُحْرِقٌ .

٢٠ وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

٢١ فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ

٢٢ فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِزُ

٢٣ فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً ،
وَفِي الصَّدْرِ حَزَازٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزُ

القوس العذراء

(٣) أعوزه الأمر يُغَوِّزُهُ : إذا اشتد عليه وعسر ، واحتاج إليه فلم يقدر عليه .

(٦) ينسرب : يجرى سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه .

إلى صديق لا تبلى مودته :

أما بعد ، فإنى لم أكن أتوقع يومئذ أن ألقاك ، وإذا
كنت قد أوتيت حياء يغلبك عند البعثة على لسانك ، حتى
يُعوزك ما تقول ، فقد أوتيت أنا ضرباً ثرثاراً من الحياء ، ٣
يطلق لسانى أحياناً ، عند البعثة ، بما لا أحب أن أقول ، وبما
لا أدرى كيف جاء ، ولم قيل ! كنت خليفاً يومئذ أن أقول
غير ما قلت ، ولكنى وجدت شيئاً منك ينسرب في نفسى ٦
فيشورها ، حتى يدور حديثى كله على إتيان الأعمال التى
يتاح للمرء أن يزاولها - فى لمحة خاطفة من الدهر ، نسميها
نحن الناس : العمر !! يا له من غرور ! بيد أن هذا الحديث

أبى إلا أن ينقلبَ عائداً معى فى الطريق ، يُسائرنى ،
ويُصاحِبْنى ، ويُوْنِسُ وَحْشَتى ، وَيُسِيرُ إِلَى بَوَسُوسَةٍ خَفِيَّةٍ
من أحاديثه التى لا تشابهه ، والتى لا تَتَنَاهَى ، والتى هى
أيضاً لا تُمَلُّ . وإذا كانت ثرثرةً حياءً قد صَكَتَ مَسَامِعَكَ
ببعض عُنفَى وَصَرَامَتى ، فعَسَى أن يبعثَ فى نفسك بعضَ
الرضى ، ما أُرْوِيهِ لك من بقايا تلك الأحاديث ، التى
رافقتنى منذُ فارقتك ، إلى أن استقرتِ بى الدارُ ، ثم طارتُ
عَنى إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ ، وغابت حيثُ يَغيب !

* * *

الإنسانُ خَلَقَ عَجِيبٌ !! كُلُّ حَيٍّ ، بل كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ ،

(١) النهج : الطريق المستقيم الواضح البين . واللاحب : الطريق الواسع الأملس ،
لا يعوقك في مسيرتك فيه شيء . والهدى : السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضلُّ
عنها .

(٥) لا يتخلف : لا ينقطع عنها فيتأخر ، ويأتى في غير مواعده ومكانه .
والذرة : التملة الصغيرة الحمراء ، النمل (جمع غملة) .

(٧) تقضى نحبها : تفرغ من عملها ، وتبلغ مدة أجلها .

(٨) ترق : تحرقه وتخرج منه ضالة على وجهها .

(١٠) تحدث : تبتدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها .

- ١ يسيرُ على نَهْجٍ لَاحِظٍ لَا يَحْتَلِّ ، يُؤَيِّدُهُ هَذِي صَادِقٌ لَا يَتَبَدَّلُ . ومهما تباينت مَسَالِكُهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَتَنَوَّعَتْ أَعْمَالُهُ فِي حَيَاةِ مَعِيشَتِهِ ، فَالنَّهْجُ فِي كُلِّ دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِهَا هُوَ هُوَ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَالْهَدْيُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهَا هُوَ هُوَ لَا يَتَخَلَّفُ . ثَوْلَدُ الذَّرَّةُ مِنَ النَّمَالِ ، وَتَنَمُو ، وَتَبْدَأُ سِيرَتَهَا فِي الْحَيَاةِ ، وَتَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَهَا الْجِدَّ ، وَتَفْرُغُ مِنْ حَقِّ وَجُودِهَا ، ثُمَّ تَقْضِي نَحْبَهَا وَتَمُوتُ . هَكَذَا هِيَ مُذْ كَانَتْ الْأَرْضُ وَكَانَتِ النَّمَالُ : لَا تَتَحَوَّلُ عَنِ نَهْجٍ ، وَلَا تَمُرُّقُ مِنْ هَذِي . وَتَارِيخُ أَحْدَثِهَا مِيلَادًا فِي مَعْمَعَةِ الْحَيَاةِ ، كَتَارِيخُ أَغْرَقِ أَسْلَافِهَا هَلَاكًا فِي حَوْمَةِ الْفَنَاءِ . لَا هِيَ تُحَدِّثُ لِنَفْسِهَا نَهْجًا لَمْ يَكُنْ ، وَلَا هِيَ تَبْتَدِئُ لَوَارِثِهَا هَدْيًا لَمْ يَتَقَدَّمْ .

(٢) سَنُ الطريقَ : يَبْنِيهِ ووَطَّاهُ مستقيماً إلى قصد معروف .

(٣) نَسَقًا : أى نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل . منقادًا : سِلْسِلًا مفضيًا إلى نهايته .

(٤) التُّراث : الإرث الموروث . والمؤبد : الخالد منذ أبد الآبدين .

(٥) السُّنَّة : الطريقة والسيرة اللازمة .

(٦) المنهاج : المسلك الواضح . والغابر : الماضي . والشَّرْك : جادة الطريق لا تخفى معالمها ، لظهور آثار السائرين فيها ، فالسائر كأنه يهتدى فيها ويستقيم اضطراباً .

- فَسَلِّ كُلَّ حَيٍّ : كَيْفَ تَعْمَلُ ؟ وَلِمَ تَعْمَلُ ؟ وَمَنِ الَّذِي
- ٢ عَلَّمَكَ وَهَذَاكَ ؟ وَمَنِ الْإِمَامُ الَّذِي سَنَّ لَكَ الطَّرِيقَ ؟ وَبِأَيِّ
- ٣ عِبَرِيَّةٍ يَأْتِي إِبْدَاعُكَ ؟ وَلِمَ كَانَ عَمَلُكَ نَسَقًا مُنْقَادًا لَا يَتَغَيَّرُ ؟
- ٤ وَكَيْفَ كَانَتْ مَهَارَتُكَ ثَرَاتًا مُؤَبَّدًا لَا يَتَبَدَّلُ ؟ وَحِذْقُكَ طَبْعًا
- ٥ رَاسِخًا لَا يَتَحَوَّلُ ؟ وَلَمْ صَارَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِ مِنْكُمْ لِرَازِمًا عَلَى
- ٦ الْأَوَّخِرِ ؟ وَمِنْهَاجُ الْغَابِرِينَ شَرَكًا لِلْوَارِثِينَ ؟ بَلْ كَيْفَ أَخْطَأَ
- الْآخِرُ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الْأَوَّلِ ؟ وَالْخَلْفُ أَنْ يُنَافِسَ
- صَنْعَةَ السَّلَفِ ؟ وَعَجَبًا إِذْنُ ! كَيْفَ صَارَ كُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ
- مُتَّقِنًا ، وَأَنْتَ لَمْ تَجْهَدْ فِي إِتْقَانِهِ ؟ وَأَنْتَى بَلَغْتَ فِيهِ الْغَايَةَ ، وَأَنْتَ
- مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْبِيرٍ وَمَشِيشَةٍ ؟ وَمَا أَنْتَ وَعَمَلُكَ ؟ أَتَحْبُهُ وَتَأْلُفُهُ ؟

(١) تَشْنُوهُ : تجده قبيحًا شنيعًا فتبغضه . وتُخَامِرُك : تخالط نفسك فتغطّي
على حسن تمييزك ، كما تفعل الخمر بالعقول .

(٨) مَنْرَجٌ أَوَّلُهُ : ديب آباءه الأولين عليها ، وَدَرَجُ الصَّيِّ : دبٌّ على الأرض
ومشى مشيًا ضعيفًا .
(٩) الْفَرَطُ : السابق المتقدم .

١ أم تَشْتَوِي وتَسَامُهُ ؟ أَتُخَامِرُكَ نَشْوَةَ الْإِعْجَابِ بِمَا أَبَدَعْتَ فِيهِ ؟
 أم تَتَنَابُكُ لَوَعَةِ الْحُزْنِ إِذَا أَصَابَهُ مَا يُتْلِفُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ ؟ أَلَمْ تَسْأَلْ
 نَفْسَكَ قَطُّ : فِيمَ أَعْمَلُ ؟ وَلَمْ خُلِقْتُ ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ ؟
 وأنا على يقين من أَنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ جَوَابًا إِلَّا الصَّمْتَ
 الْمُسْتَنْكَرَ ، وَالذُّهُولَ الْمُعْرِضَ ، وَالصَّمَمَ الْمُسْتَخِفَّ الَّذِي
 لَا يَعْصِي .

* * *

إِلَّا الْإِنْسَانُ !! إِلَّا الْإِنْسَانُ !!

٨ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ مَدْرَجُ أَوَّلِهِ عَلَى أُمِّهِ الْأَرْضِ ؟ وَأَيْ

٩ هَذِي كَانَ لَفَرْطِهِ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ ؟

(١) سُدَى : مهملاً غير مأمور ولا منهيٍّ مُسَدَّد . الهمَل : الضالُّ المتروك
بلا بيان يهديه أو يحكمه .

(٢) التَّهَجُّجُ الأوَّلُ والتهجُّجُ القديم : هو الفِطْرَةُ التى فَطَّرَ الله عليها آدم وولده
قبل اختلافهم وضلالهم ، ونزول التكليف ، وبُعْثَةِ الأنبياء .

(٤ - ٦) أَنْبَط : استخرج الماء من بطن الأرض . الذخائر : (جمع ذخيرة) :
وهو ما تخبئه فأخفيته ودفنته عن العيون . يستبحر : ينشق ويتسع ويصير كالبحر
لا ينقطع ماؤه . السرائر (جمع سريرة) : وهو ما كان مكتوماً كالسر ، لا يعرف حتى
تعلنه . والفتح : ما انفتح بعد استغلاق .

(٧) تَأَيَّد : صار ذا أُيْدٍ وقوة وتمكَّن . تَأَثَّل : تقادم عهده وثبت أصله . عَمَر :
عاش وبقي زماناً طويلاً .

(٩) خَاد : مال عنه وعدل إلى غيره . مَرَّق : خَرَقَه وخرج إلى ضلال
المسالك .

١ إِنَّهُ كَكَلٍّ حَيٍّ ، لَمْ يُخْلَقْ سُدىً وَلَمْ يُتْرَكْ هَمَلًا ، سَلَكَ لَهُ
 ٢ رُبُّهُ النَّهَجَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَتَكَاثَرَ ، وَأَتَاهُ الْهَدَى الْقَدِيمَ حَتَّى
 يَسْتَحْكِمَ ، وَسَدَّدَ يَدَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ ، وَأَنَارَ بَصِيرَتَهُ حَتَّى
 ٤ يَسْتَكْمِلَ ، وَأَثْبَطَ فِيهِ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ حَتَّى يَسْتَبْجِرَ ، وَفَجَّرَ
 فِيهِ سَرَائِرَ الْإِتْقَانِ حَتَّى يَسُودَ وَيَتَمَلَّكَ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ حَتَّى
 يَسْتَفْهِمَ ، وَكَرَّمَهُ بِالْفَتْحِ حَتَّى يَتَغَلَّبَ .

٧ فَلَمَّا ثَبَّتَ عَلَيْهَا وَتَأَيَّدَ ، وَتَأَثَّلَ فِيهَا وَعَمَرَ ، نَظَرَ إِلَى
 مَعْرُوفِهَا فَاعْتَبَرَ ، وَهَجَمَ عَلَى مَجْهُولِهَا فَاسْتَنْكَرَ ، فَكَأَنَّهُ مِنْ
 ٩ يَوْمِئِذٍ حَادٍ عَنِ النَّهْجِ الَّذِي لَا يَخْتَلُّ ، وَمَرَقَ مِنَ الْهَدَى
 الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ .

(١) تَمَرَس : احتك بالشئ فأثر فيه . أَسْلَم : ترك مخذولاً بلا هداية .

(٢) نَزَعَ : حن واشتاق .

(٤) احْتَفَرَ : بذل الجهد فى الحفر . أَكْدَى حَافِرُ الْبَحْرِ : إذا حفر فبلغ الصخور ، فَقَطَعَ الْحَفْرَ خِيبةً وبأساً .

(٥) نَبَعَتْ : انفجر منها الماء يَبْوَغاً . نَدَّتْ : نفرت هاربة واستصعبت .
استفادت : خضعت وأعطته المقادة .

(١٠) جَاشَتْ نَفْسُهُ : فازت وارتفعت . والصباية : بقية الماء التى تصب .

- ١ أَبْتَلَى مِنْ يَوْمَيْدِ فَمَرَّسَ ، وَأُسْلِمَ لِمَشِيئَتِهِ فَتَحْيَرُ . جَارَ
- ٢ وَعَدَلَ ، فَعَرَفَ وَجَرَّبَ . أَخْطَأَ وَأَصَابَ ، فَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ . نَزَعَ
- إِلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، فَأُخْفِقَ وَأَدْرَكَ . تَأَقَّى إِلَى الْهَدْيِ الْقَدِيمِ ،
- ٤ فَأُعْطِيَ وَحُرِّمَ . أَحْتَفَرَ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ ، فَأَكْذَتْ عَلَيْهِ تَارَةً
- ٥ وَنَبَعَتْ . التَّمَسَّ شُورَادَ الْإِتْقَانِ ، فَتَدَثَّ عَلَيْهِ مَرَّةً وَاسْتَقَادَتْ .
- وَإِذَا كُلُّ صُنْعٍ يَتَقَاضَاهُ حَقٌّ إِحْسَانِهِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ يَجْنُ بِهِ إِلَى
- قَرَارَةٍ إِثْقَانِهِ . فَعِنْدَيْكَ حَاكُ الشُّكِّ فِي صَدْرِ اللَّاحِقِ ، حَتَّى قَدَحَ
- فِي تَمَامِ صُنْعِ السَّابِقِ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ . وَقَلَقَ الْوَارِثُ ، حَتَّى
- خَافَ تَقْصِيرَ الذَّاهِبِ ، فَاسْتَنْكَفَ الْإِذْعَانُ إِلَيْهِ . فَكَذَلِكَ
- ١٠ جَاشَتْ نَفْسُهُ ، حَتَّى أَنْدَقَتْ صُبَابَةً مِنْهَا فِيمَا يَعْمَلُ ، وَتَضَرَّمَ

(١) الميسم : أثر الوسم بالنار . تدلّه : ذهب عقله من الحب والهوى .

(٢) إستجداد : وجد لذة جودته وحسنه .

(٣) الزهو : التيه والفخر والعظمة .

(٥) ختله : خدعه على حين غفلة .

(٦) عدت إليه : أسرع إليه على حين بغتة . والنبوة : القلق الذى يمنع الاطمئنان .

(٧) أعلام (جمع عَلم) : وهو المنار الذى يُنصب فى الطرق لهداية السارين .

(٨) ركّد البرق : سكن وميضه . والبوارق (جمع بارقة) : وهى السحابة ذات

البرق .

- ١ قلبه حتى ترك ميسمه فيما أنشأ ، فتدله بصنع يديه ، لأنه
- ٢ استودعه طائفة من نفسه ، وفتن بما استجد منه ، لأنه أفنى
- ٣ فيه ضراماً من قلبه . وإذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه
وملك ، ويضنيه الأسى عليه إذا ضاع أو هلك .

- ٥ هذا هو الإنسان وعمله . فإذا دبَّت بينهما جفوة تخيل
- ٦ النفس حتى تملّ وتسام ، أو عدت إليهما نبوة تراود القلب
- ٧ حتى يميل ويُعرض ، أنطمست عندئذ أعلام النهج الأول ،
- ٨ وركدت بوارق الهدى المُتقادم ، وبقي الإنسان وحيداً
ملوماً محسوراً لا يزال يسأل نفسه : فيم أعمل ؟ ولم خلقت ؟
وفيم أعيش ؟

(٨) صافاه : أخلص له الحب ، وأعطاه صفو مودته وهمه ..

فما يكون جوابه إلا حَيْرَةً لا تَهْدَأ ، وَلَهِيًّا لا يَطْفَأ ،
وظلامًا لا يَنْقُشِع .

* * *

بل حَسْبِي وحَسْبُكَ . فلقد خَشِيتُ أن تقول لى :
إِنَّمَا أَنْتَ تَحَدِّثْنِي عَنِ الْفَنِّ ، فهذه صِفَةُ أَهْلِهِ = لا عن
العمل ، فليس هذا مِنْ نَعْتِهِ ! وكَأَنِّي بِكَ قَدْ قُلْتُ : إِنَّ
الْفَنَّ تَرَفٌّ مُسْتَحْدَثٌ ، أَمَّا الْعَمَلُ فَشِقَاءٌ مُتَقَادِمٌ . هذا
مِمَّا تَعْجَلُهُ الْإِنْسَانُ وَعَانَاهُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَذَاكَ مِمَّا تَأْتِي
فِيهِ وَصَافَاهُ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِلَذَّتِهِ . وَالْإِنْسَانُ إِذَا جَوَّدَ الْعَمَلَ ،
فَمُنْتَهَى هَمُّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى قَضَاءِ مَآرِبِهِ أَعْوَنَ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ
فِي أَسْبَابِ مَعِيشَتِهِ أَنْجَحَ وَأَرْبَحَ . أَمَّا الْفَنُّ ، فَثَمَرَةٌ لِغَيْرِ

(١ ، ٢) المتأقن : الذى يعمل الشئ بتجويد يأتى فيه بالعجب ، حباً لما يعمل وإعجاباً به . ثرة : غزيرة الماء . لاعج : محرق يَسْتَعِرُّ فى القلب ويترك فيه آثاراً .

(٤) ممتن : مبتذل . ومذخور : يتخذ المرء ذخيرة يصطفى بها ويضن بها .

(٥) فسق : خرج منها إلى الضلال . والتلاد : القديم الموروث الذى يولد معك .

(٦) استغواه : طلب غوايته وضلاله . وانسلخ : نزع نفسه منه . والركاز : أصله ، قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة فى باطن الأرض . والجبلة : الطبيعة الراسخة التى يبنى عليها الخلق .

(٧) يعتسفه : يركب طريقه بلا روية ولا هداية ولا أناة .

(٩) الضراوة : اعتياد الشئ حتى لا يكاد المرء يصبر عنه . والنهمة : الشهوة التى تسوق النفس فلا تكاد تنتهى . انبت : أتعب دابته فى السير حتى انقطعت بلا رجعة .

(١٠) الفلاة : الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس . مطموسة : دارة لا أثر فيها .

(١) عضل : ضاق فلم يدخل ولم يخرج .

(٤) الحبء : الخبوء . التليد : القديم الموروث . استوى : بلغ غاية نمائه واعتدل .

(٥) استحصد : حان له أن يؤق حصاده . يعتمله : يجاهد في عمله .

(٧) يرق : يبرق ويتألأ .

(٩) يسفر : يشرق ويبين ويتوضح . والمدب : موضع ديب الأقدام .

(١٠) الدروس : ذهاب الآثار وإحاؤها . والعفاء : تراكم التراب الذى يطمس

الآثار . استشرى البرق : تتابع لمعانه . والوميض : لمعان البرق فى نواحي الغيم .

(١١) يفصل : ينقطع السبب بينه وبين عمله .

- ١ شَجَرَتِهِ ، يَسْقِيهَا مَتَانِقَ مِنْ يَنَابِيعِ ثَرَّةٍ فِي وُجْدَانِهِ ،
 وَيُنْضِجُهَا مَشْغُوفَ بِلَاعِجٍ مِنْ وَجْدِهِ وَأَفْتَانِهِ ، فِي غَيْرِ
 مَخَافَةٍ مَرْهُوبَةٍ ، وَلَا مَنَفْعَةٍ مَجْلُوبَةٍ . فَذَاكَ إِذَنْ بِطَبِيعَتِهِ
 ٤ مُسْتَهْلِكٌ مُمْتَهِنٌ ، وَهَذَا لِحُرْمَةِ نَشَاتِهِ مَذْخُورٌ مُكْرَمٌ .
- ٥ وَأَقُولُ : بَلْ أَنْتَ تُحَدِّثُنِي عَنِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ فَسَقَ عَنِ تِلَادِ
 ٦ فِطْرَتِهِ ، وَاسْتَعْوَاهُ الشُّعْخُ حَتَّى أَسْلَخَ مِنْ رِكَازِ جِبِلَّتِهِ . غَرَّةُ
 ٧ مَا أُوتِيَ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَاقْتَحَمَ عَلَى غَيْبِ مُدَبَّرٍ ، يَعْتَسِفُهُ
 بِسَفَاهَةِ جُرْأَتِهِ . وَاسْتَحَفَّهُ مَا أُعِينَ بِهِ مِنَ الْمَشِيئَةِ ، فَهَجَمَ
 ٩ عَلَى خَيْرٍ مَبْذُولٍ ، يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ بِضَرَاوَةِ نَهْمَتِهِ . فَأَنْبَتَ مِنْ
 ١٠ يَوْمِيذٍ فِي فَلَاقٍ مَطْمُوسَةٍ بِلَا دَلِيلٍ ، يَظَلُّ يَكْدَحُ فِيهَا كَذْحًا
 حَتَّى يُنَادِيَ لِلرَّحِيلِ !

- ١ جَاءَ مُيسَّرًا لشيءٍ خُلِقَ له ، فظلمه حقّه حتى عَضِلَ
 بأمره فتعسّر ، وَهْدَى مسدّدًا إلى غايه ، ففعلَ عنها حتى
 تبدّد خطوهُ واختلّ . ولو دَانَ الإنسانُ بالطاعة لِفِطْرَتِهِ
 ٤ المكنونه فيه منذ وُلِدَ ، لأَفْضَى إلى خَبِيثِهَا التَّلِيدِ إذا ما آسْتَوَى
 ٥ نَبْئُهُ وَآسْتَحْصَدَ . وَلِصَارَ كُلَّ عَمَلٍ يَعْتَمِلُهُ ، تَدْرِيبًا
 لما اسْتَعْصَى منه حتّى يَلِينَ وَيَنْقَادَ ، وَتَهْدِيًا لما تَرَكَمَ فيه حتى
 ٧ يَرِفَّ وَيَتَوَهَّجَ . فَإِذَا دَرَبَ عَلَيْهِ وَصَبَرَ ، أَزَالَ الثَّرَى عَنْ نَبْعِ
 مُنْبِثِقٍ ، فَإِذَا أَلَحَّ وَلَمْ يَمَلَّ ، انشَقَّتْ فِطْرَتُهُ عَنْ فَيْضِ
 ٩ مُتَدَفِّقٍ . وَيَوْمَئِذٍ يُسْفَرُ لَعَيْنِيهِ مَدْبُ النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، بَعْدَ
 ١٠ دُرُوسِهِ وَعَفَائِهِ ، وَيَسْتَشْرِى فِي بَصِيرَتِهِ وَمِيزِ الْهَدَى
 ١١ الْمُتَقَادِمِ ، بَعْدَ رَكَدَتِهِ وَخَفَائِهِ . وَإِذَا كُلُّ عَمَلٍ يَفْصِمُ عَنْهُ

(٣) الحشاشة : روح القلب ، ورمقُ حياة النفس :

(٤) الصبوة : الحنين الداعى إلى الميل مع الهوى .

(٦) الإرث : الأصل الموروث .

(٧) السليقة : الطبيعة التى لا تحتاج إلى تعلم . معرق : أصيل : له عروق
ممتدة إلى أصوله .

(٨) غُرُضُ البشر : غَمَارُهُمْ وكَثَرَتُهُمْ ، بلا تحديد أو تعيين .

مُتَّقِنًا ، وكأنَّه لم يَجْهَدْ في إِتْقَانِهِ ، وإذا هو مُشْرِفٌ فِيهِ عَلَى
 الْغَايَةِ ، وكأنَّه مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْيِيرٍ وَمَشِيئَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْصِمُ
 ٣ عَنْهُ حِينَ يَفْصِمُ ، إِلَّا مَطْوِيًّا عَلَى حُشَّاشَةٍ مِنْ سِرِّ نَفْسِهِ
 ٤ وَحَيَاتِهِ ، مُوسَمًا بِلَوْعَةٍ مُتَضَرِّمَةٍ ، عَلَى صَبَوَةٍ فَنِيَتْ فِي
 عِشْرَتِهِ وَمُعَانَاتِهِ .

٦ فَالْعَمَلُ كَمَا تَرَى ، هُوَ فِي إِزْبِطِ طَبِيعَتِهِ فَنٌ مُتِمِّكِنٌ ،
 ٧ وَالْإِنْسَانُ بِسَلِيقَةِ فِطْرَتِهِ فَتَانٌ مُعْرِقٌ .

* * *

٨ وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ الْآنَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ عُرْضِ الْبَشَرِ ،

(١) صابر : تكلّف معها الصبر على عنت ومشقة .

(٢) نفّساً : قليلاً يُنَفّس عنه .

(٦) توجّست : تسمعت إلى صوته الخفى على خوف .

(٧) بيّضة الصيف : شدة حرّه .

(٨) مَجْتَمُهُ : جثومه فى مكمنه لا يتحرك . والقُتْرَةُ : حُفْرة الصائد يكمنُ

فيها . قليل التلاد : لا مال له موروث .

(٩) المهاد : الموضع الذى يمهده لنفسه .

- ١ يَتَعَيْشُ بِكَذِّ يَدَيْهِ ، صَابِرَ الْفَاقَةِ عَامِينَ ، يَعْمَلُ عَمَلًا يُفْلِتُ
٢ نَفْسًا مِنَ الْغِنَى إِلَيْهِ ، أَغْوَاهُ ثَرَاءُ يَبْهَرُهُ ، فَمَا كَادَ يُسَلِّمُهُ
لِلْبَيْعِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِ .

لَمْ أَعْرِفْهُ ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي عَنْهُ رَجُلٌ مِثْلُهُ عَمَلَهُ الْبَيَانُ ،
ذَاكَ فِطْرَتُهُ فِي يَدَيْهِ ، وَهَذَا فِطْرَتُهُ فِي اللِّسَانِ .

* * *

- ٦ هَذَا عَامِرٌ أَخُو الْخُضْرُ : تَوَجَّسَتْ بِهِ الْوَحْشُ مِنْ
٧ عِرْفَانِهَا شِدَّةَ نِقْمَتِهِ ، جَاءَتْ ظَامِمَةٌ فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ ،
٨ فَرَاغَهَا مَجْثُمُهُ فِي قُتْرَتِهِ . قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،
٩ خَفِيَ الْمِهَادُ ، غَيْرَ مُقْلَةٍ تَتَضَرَّمُ . تَبَيَّنَتْ لَمَحَ عَيْنِيهِ ،

(١) شريعة الماء : الموضع الذى ينحدر إلى الماء .

(٥) الغَيْلُ : الشجر الكثير الملتف . نَمَاهَا : رفعها وسَوَاهَا وانتسَبَتْ إليه .

(٦) اجْتَبَاهَا : اختارها واصطفأها .

(٧) انْغَلَّ : تغلغل بين شجرها . الحَشَا : الجُوف . الغِيصُ : الشجر النابت
بعضه فى أصول بعض .

(٨) أُنْحَى : وَجَّهَ وسَدَّدَ . اخْتَلَاهَا : جَزَّهَا وقطعها .

١ فانقلبَت عن شريعة الماء هاربة ، ذَكَرْتُ نِكَايَةَ مَرَمَاهُ ،
فَأَثَرْتُ مِيتَةَ الظَّمَا عَلَى فَتْكَةِ الْأَسْهُمِ الصَّائِبَةِ .

وما عامرٌ وقَّوسُهُ ؟

- فَدَعِ الشَّمَّاحُ يُنْبِئُكَ عَنْ قَوَّاسِهَا الْبَائِسِ فِي حَيْثُ أَتَاهَا :
- ٥ أَيْنَ كَانَتْ فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ غِيلِ نَمَاهَا ؟
- ٦ كَيْفَ شَقَّتْ عَيْنُهُ الْحُجْبَ إِلَيْهَا ، فَأَجْتَبَاهَا ؟
- ٧ كَيْفَ يَنْغُلُ إِلَيْهَا فِي حَشَا عِصِي وَقَاهَا ؟
- ٨ كَيْفَ أَنْحَى نَحْوَهَا مِبرَّاتُهُ ، حَتَّى آخَتَلَاهَا ؟
- كَيْفَ قَرَّتْ فِي يَدَيْهِ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ لِفَتَاهَا ؟
- كَيْفَ يَسْتَوْدِعُهَا الشَّمْسُ عَامِنِينَ .. تَرَاهُ وَيَرَاهَا ؟

(١) اللَّحَاءُ : قشر العود من الشجر .

(٤) ذَاقَ الْقَوْسَ : جذب وتَرَهَا لينظر ما شدتها .

(٨) يَهْمِي : يسقط ويسيل .

(٩) رَدَّاهَا : جعله لها رِدَاءً . واليزر : الثياب .

- ١ كَيْفَ ذَاقَ الْبُؤْسَ .. حَتَّى شَرِبَتْ مَاءَ لِحَاهَا ؟
 كَيْفَ نَاجَتْهُ .. وَنَاجَاهَا .. فَلَانَتْ .. فَلَوَاهَا ؟
 كَيْفَ سَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. فَقَامَتْ .. فَقَضَاهَا ؟
 ٤ كَيْفَ أُعْطِيَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ ، إِذَا ذَاقَ ، هَوَاهَا ؟
 أَيُّ ثَكْلَى أُعْوَلَتْ إِذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا ؟
 كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا ؟ كَيْفَ يُصْنَعِي لُبَّكَاهَا ؟
 كَيْفَ رِيحَ الْوَحْشِ مِنْ هَاتِفِ سَهْمٍ إِذْ رَمَاهَا ؟
 ٨ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقًا ، فِي لَيْلَةٍ يَهْمِي نَدَاهَا ؟
 ٩ كَيْفَ رَدَّاهَا حَرِيرَ الْبَزِّ حِرْصًا وَكَسَاهَا ؟
 كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا ؟ وَتَعَالَى وَتَبَاهَى ؟

(٧) سفاها : دعاء عليه بخسران نفسه .

(٩) ثياب الخال : ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال . العصب : يرود كانت تصنع باليمن ، يغصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتى موشياً ، لبقاء ما عُصِب منه أبيض لم يأخذه صبغ . والموشى : المختلط الألوان .
(١٠) الأديم : الجلد المدبوغ . المقروط : المدبوغ بالقرظ . أرئى : زاد ماله وارتفع على ما يستحقه . شراها : باعها .

كَيْفَ وَافَى مَوْسِمَ الْحَجِّ بِهَا ؟ .. مَاذَا دَهَاهَا ؟
 أَيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سِرَّهُمَا الْمُضْمَر ؟ .. بَلْ كَيْفَ رَأَاهَا ؟
 أَنْبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقَضُ إِلَيْهَا .. فَأَتَاهَا !!
 مَسَّهَا ذُو لَهْفَةٍ تَخْفَى .. ، وَإِنْ جَارَتْ مَدَاهَا
 - قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَوَّى !! وَأَفْدَى مَنْ بَرَاهَا
 أَنْتَ .. !! بَعْنِيهَا ..

٧ - نَعَمْ إِنْ شِئْتَ !! [تَعْسًا وَسَفَاهًا]

- قَالَ : بِالتَّبَرِّ .. وَبِالْفِضَّةِ ، بِالْحَزِّ ... وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا

٩ بِشِيَابِ الْخَالِ .. بِالْعَصَبِ الْمُوشَى .. أَتَرَاهَا ؟

١٠ وَأَدِيمِ الْمَاعِزِ الْمَقْرُوظِ .. أَرَأَيْتَ مَنْ شَرَاهَا !

(٢) شاة الوجهُ : صار قبيحًا مشوهًا تكرهه النفسُ .

(٦) اشتراها : باعها .

(٧) تاهَ : من التَّيْه ، وهو العُجْب والفرَح .

[كَيْفَ قَالَ الشَّيْخُ ؟ .. كَلَّا ! إِنَّهَا بَعْضِي ! وَالْمَالُ ؟ بَلِ الْمَالُ فَدَاهَا
 ٢ إِنَّهَا الْفَاقَةُ وَالْبُؤْسُ !! .. نَعَمْ ! .. هَذَا غِنًى !! .. كَلَّا وَشَاهَا
 بَلْ كَفَانِي فَاقَةً .. لَا ! .. كَيْفَ أَنْسَاهَا ؟ .. وَأَنْتَى ؟ ! وَهَوَاهَا]

لَمْ يَكْذُ .. حَتَّى رَأَى نَاسًا ، وَهَمَسًا ، وَشِفَاهَا :
 بَايَعَ الشَّيْخَ ! أَخَاكَ الشَّيْخَ ! .. قَدْ نِلْتَ رِضَاهَا !!
 ٦ إِنَّهُ رِبْحٌ .. ! فَلَا يُفْلِتُكَ ! .. أَعْطَى ، وَأَشْتَرَاهَا !

وَرَأَى كَفَيْهِ صِفْرًا ، وَرَأَى الْمَالَ .. فَتَاهَا
 ٧ لَمَحَةً .. ، ثُمَّ تَجَلَّى الشُّكُّ عَنْهُ .. ، فَبَكَاهَا !

(٦) أَسْتَهْلُ المطر : فَطَلَّ واشتد انصبابه .

(٧) احتفل السيلُ : جاء بيمْلءٍ جَنَّتِي الوادى .

(٨) ابتزَّها : غلبها وغَصَبَها وسلبها . والبلائُ : وساوس القلب التى تضطرب فيه . الوجَل : شدة الخوف .

(٩) مَثَّل : انتصب قائما .

وَرَأَاهَا بِدُمُوعٍ ، وَيَحَهُ ! كَيْفَ رَأَاهَا ؟ !
 فَتَوَلَّى .. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلَطَاهَا !
 حَسْرَةً تُطَوِّي عَلَى أُخْرَى .. ، فَأَغْضَى .. وَطَوَاهَا !

* * *

فاسمع إذن صدى صوت الشِّمَّاخ :

- ٦ تَجَاوَبَ عَنْهُ كُھُوفُ الْقُرُونِ ، تَرَدَّدَ فِيهَا كَانَ لَمْ يَزَلْ
 وَأَوْفَى عَلَى الْقِمَمِ الشَّامِخَاتِ : جِبَالٌ مِنَ الشَّعْرِ مِنْهَا آسْتَهْلُ
 ٧ تَحَدَّرُ أَنْغَامُهُ الْمُرْسَلَاتُ ، أَنْعَامَ سَيْلٍ طَعَى وَاحْتَفَلُ
 ٨ رَأَى حُمْرَ الْوَحْشِ ، فَأَبْتَرَهَا بِلَايِلَهَا مِنْ حَدِيثِ الْوَجَلِ
 ٩ رَأَاهَا ظِمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ ، فَفَرَّعَهَا عَنْهُ خَوْفٌ مَثَلُ

(٣) ذو الأراكة : موضع الماء . الثَّهْل : أول الشرب عند ورد مناهل الماء .

(٤) حَلَّاهَا : طردها عن الماء ومنعها الورود .

فَطَارَتْ سِرَاعًا إِلَى غَيْرِهِ ، بَعْدُو تَضَرَّم حَتَّى أَشْتَعَلَ
 فَلَمْ تَذُنْ حَتَّى رَأَتْ صَائِدَيْنِ ، فَصَدَّتْ عَنِ الْمَوْتِ لَمَّا أَهْلُ
 ٣ فَكَالْبَرْقِ طَارَتْ إِلَى مَأْمَنِ عَلَى ذِي الْأَرَاكَِةِ صَافِي النَّهْلِ

٤ ... فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَِةِ عَامِرٌ
 أَخُو الْخُضْرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِزُ

قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ؛
 كَانَ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزٌ

(٤) راجفات الحذر : التى تُرْجَف بالقلب ، حتى يضطرب اضطرابًا شديدًا .

(٥) لَوَاهَا : صَرَفَ وجوهها عن الشرب .

(٧) الحَصَاصَة : الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال . والبئيس : الفقير البائس الشديد البؤس .

(٨) مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ : التى تنهض به داعية الفرار .

مُطْلًا بُرْزِقَ مَا يُدَاوِي رَمِيَّهَا ،
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعِ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا الْبَيَانُ حَتَّى رَأَى بِعُيُونِ الْحُمْرِ ؟
٤ وَكَيْفَ تَعَلَّقَلَ هَذَا اللِّسَانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِفَاتِ الْحَذَرِ ..

٥ .. لَوَاهَا عَنِ الرَّيِّ عِرْفَانُهَا أَخَا الْخُضْرِ ، عِرْفَانٌ مَنْ قَدْ عَقَلَ !
وَعَلَّمَهَا أَيْنَ تُكْوَى الْجُنُوبُ بِنَارِ الطَّيِّبِ لِذَائِ نَزَلَ !
٧ وَأَنَّ الْخَصَاصَةَ قَوْسُ الْبَيْسِ ، إِذَا أَلْقَذَفَ السَّهْمُ عَنْهَا قَتَلَ !
٨ يُسَابِقُ مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَقِلَّ !

(٣) صفراء : هي القوس لصفرتها . فاقعة : خالصة اللون مُشرقة .

(٤) الحائمات : التي تحوم حول الماء عطاشًا . الحَتْفُ : الهلاك . أَظَلَّ : دنا
وقَرَّبَ ، وأَلْقَى على الشيء ظِلَّهُ .

فَيَذَرُكُهَا الْمَوْتُ مَعْرُوسَةً قَوَائِمُهَا فِي الثَّرَى .. ، لَمْ تَزُلْ !
 وَعَرَفَهَا أَنَّهُنَّ السَّهَامُ : زُرْقٌ تَلَالُؤٌ أَوْ تَشْتَعِلُ !
 ٣ وَصَفَرَاءُ فَاقِعَةٌ ، أَذْكَرْتُ مَصَارِعَ آبَائِهِنَّ الْأَوَّلِ .
 ٤ سِيهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الْحَائِمَاتِ ، وَقَوْسٌ تُطِلُّ بِحَتِفٍ أَظْلُ !

تَحْيَرُهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرَجِ ضَالَةٍ
 لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
 فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاوِزُ

فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
وَيَنْغُلُ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

فَأُنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتْ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزَوَّرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

(٢) المنسِدُّ : الطويل المسترخى المُرسَل .

(٣) عَضِلَّ : داهيةٌ منكرٌ شديد العَلَبَة .

(٤) صَلَّى : دعا وعظَّم الله وقُدَّسه . هَلَّ : فرح وصاح .

(٥) الكِرْنُ : المكان الذى يسترها ويحجبها عن العيون .

(٦) مُهَدَّلَةٌ : مُرْخَاةٌ متدلّية . الأَسَلُ : نبات دقيق القضببان طويل شديد الاستواء .

(٧) يَبِيسُ : يابس . ذُو شَوْكَةٍ : ذُو شَوْكٍ . أَشْرَطَهَا نَفْسُهُ : أَعَدَّ لها نفسه ،
إِنَّمَا أَنْ يَنَالَهَا أَوْ يَهْلِكَ ، غَيْرُ مُبَالٍ .

(٨) الباتر : القاطع كالسيف . أَنْقَلَ : تغلغل . الْمُخْتَبِلُ : الذاهب العقل .

(٩) يَحْتُ الْبَيْسُ : يستأصل اليباس ويرميه . وَيُرْدَى : يسقط الرطب .

وَيُعْمِضُ : يُورِغِل .

(١٠) حَيْهَلٌ : كلمة تقال للحث والاستعجال .

- تَخِيرَهَا بَائِسٌ ، لَمْ يَزَلْ يُمَارِسُ أَمْثَالَهَا مُذْ عَقَلَ
- ٢ تَبَيَّنَهَا وَهَى مَحْجُوبَةٌ ، وَمِنْ دُونِهَا سِتْرُهَا الْمُنْسِدِلُ
- ٣ حَمَاهَا الْعُيُونُ فَأَخْطَأَتْهَا ، إِلَى أَنْ أَتَاهَا خَبِيرٌ عَظِيمُ
- ٤ رَأَى غَادَةً نَشَّتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النِّعَمِ ، فَصَلَّى وَهَلَّ
- ٥ فَنَادَتْهُ مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ : لَيْتَكَ ! [يَا قَدْهَا الْمُعْتَدِلُ !]
- ٦ سَتُورٌ مُهْدَلَةٌ دُونَهَا ، وَحُرَاسُهَا كِرْمَاجُ الْأَسَلِ
- ٧ يَبِيسٌ وَرَطْبٌ وَذُو شَوْكَةٍ !! فَأَشْرَطَهَا نَفْسُهُ .. لَمْ يُبَلِّ
- ٨ وَسَلَّ لِسَانًا مِنَ الْبَاتِرَاتِ ، .. وَأَنْعَلَّ عَاشِقُهَا الْمُخْتَبِلُ !!
- ٩ يَحُتُّ الْيَبِيسَ ، وَيُرْدِي الرُّطَابَ ، وَيُغْمِضُ فِي ظُلُمَاتٍ تُضِلُّ
- ١٠ فَهَتَكَ أَسْتَارَهَا بَارِزًا إِلَى الشَّمْسِ .. قَدْ نَالَهَا ! حَيْهَلُ !!

- (١) أَنَحَى : وَجَّهَ نَاحِيَتَهَا . اللِّسَانُ الْحَدِيدُ : هُوَ الْجَبَرَةُ الْحَادَّةُ الْقَاطِعَةُ .
حَصِيْمٌ : شَدِيدُ الْخُصُومَةِ . جَدِلٌ : شَدِيدُ اللَّدِّ فِي الْخُصُومَةِ .
(٢) شَرِيْسٌ : شَدِيدُ الشَّرَاسَةِ . عَتِيٌّ : طَال تَمَرُّدُهُ وَكِبَرُهُ . قَدِيمُ الْأَجَلِ :
مُتَقَادِمُ الْعَمْرِ .
(٣) الْجَذَلُ : الْفَرَحُ الَّذِي يَهْزُ الْأَعْطَافُ .
(٤) تَسْتَرِقُّ : تَسْرِقُ خُلْسَةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

- (٦) الْمُقْتَبِلُ : الَّذِي سَوْفَ يَسْتَقْبِلُهُ .
(٧) الْخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ الَّتِي تَخْلُلُ النَّفْسَ . أَنْفَتَلَ : أَنْصَرَفَ عَنْهُ مُسْرِعًا مُعْرِضًا ،
وَلَوَّى وَجْهَهُ عَنْهُ .

- ١ فَأُنْحَى إِلَيْهَا اللِّسَانُ الْحَدِيدُ يَبْرُقُ .. ، وَهُوَ خَصِيمٌ جَدُلٌ
- ٢ عَدُوٌّ شَرِيسٌ ، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتَى قَدِيمٍ الْأَجَلُ
- ٣ فَأُكْلُ أُمَّا غَذَنُهَا النَّعِيمُ ، وَرَاحَ بِهَا وَهُوَ بَادِي الْجَدُلِ
- ٤ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتَ عَلَى رَاحَتِهِ ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرْقَانِ الْقُبْلُ
- رَقَاهَا ، فَأُحْيَى صَبَابَاتِهَا بِتَعْوِيدَةٍ مِنْ خَفِيٍّ الْغَزْلِ
- ٦ فَنَاجَتْهُ .. ، فَأَهْتَزَّ مِنْ صَبْوَةٍ ، وَمِنْ فَرَجٍ بِالْغِنَى الْمُقْتَبِلِ
- ٧ وَأَعْرَضَ عَنْ كُلِّ ذِي نُحْلَةٍ ، غَنَى بِالَّتِي حَازَهَا .. وَأَنْفَتَلَ ..

فَمَظَّعَهَا غَامِيزٍ مَاءَ لِحَائِهَا ،

وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِيزُ

(٣) اللحاء : قشر العود من الشجر . الحُصِيلُ : الناعم الرطب الندى .

(٦) البَذَاذُ : رثالة الهيعة وسوء الحال .

(٧) لَهِيْفٌ : شديد التلهُّف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها .

(٨) الهجير : شدة الحرّ عند نصف النهار .

(٩) تمَحَصَرٌ : سقط عنها فخلصت منه واشتدت . أُمْلُوْهَا : قوامها اللدنُ الناعم .

أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَّأَهَا ،
 كَمَا قَوَّمتْ ضِيعَنَ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ

- ٣ مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ .. حَتَّى تَنْجِفَ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَايِ خَضِيلٍ
 وَفِي الْبُؤْسِ عَامَيْنِ .. يَحْيَى لَهَا ، وَيُحْيِيهِ مِنْهَا : الْغِنَى وَالْأَمَلُ
 تَرَدَّدَ عَامَيْنِ .. مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا ، عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ
 ٦ يُغْنَى لَهَا ، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ ، بَادِي الْبَذَاذَةِ ، حَتَّى هُزِلَ
 ٧ يُقَلِّبُهَا بِيَدَي مُشْفِقٍ ، لَهِيْفٍ ، لَطِيفٍ ، رَفِيقٍ ، وَجِلٍ
 ٨ يُعَرِّضُهَا لِلْهَيْبِ الْهَجِيرِ ، رُؤُوفًا بِهَا ، عَاكِفًا لَا يَمَلُ
 ٩ فَلَمَّا تَمَحَّصَ عَنْهَا النِّعِيمُ ، وَاشْتَدَّ أُمْلُودُهَا ، وَأَنْفَقْتُ

(١) النشور : العصيان وترك الطاعة . والمُدِلّ : المفرط في دَلَالِه ، كدلال المرأة على زوجها .

(٢) الثَّقَاف : حديدة في طرفها خَرَق يتسع للقوس ، ليقوم عِوَجها . الممثل : المحتذى بالأمر الذى يؤثر به .

(٣) المَجْفَل : ارتاعَ فارتدَّ مسرعًا .

(٥) الطريدة : قَصَبَةٌ مُجَوِّفَةٌ بقدر ما يلزم القوس ، فيها سَفَنٌ نخشين ، والسَّفَن (بفتحيتين) هو ما يُسمَّى عندنا اليوم (السنفرة) ، وهى عامية .

(٦) مَجَلّ : شديد المكر والقوة .

(٨) رَيًّا : ناعمة يترق فيها ماء الصفاء . جَفَلَ : ارتاع من حُسْنها .

(٩) استهلّت : تَلَأَلَتْ . ضِفْئُها : عُسْرُها والتواؤُها وصعوبة انقيادها . ابتهل : أخلص في تسبيح الله .

- ١ عَصَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ أَخْلَاقُهَا نُشُوزًا .. فَلَمَّا آلَتْوَتْ كَالْمِدْلِ
- ٢ أَعَدَّ الثَّقَافَ لَهَا عَاشِقٌ يُودِّبُهَا أَدَبَ الْمُثَنِّلِ
- ٣ وَعَضَّ عَلَيْهَا .. فَصَاحَتْ لَهُ ، فَأَشْفَقَ إِشْفَاقًا ، وَأَنْجَفَلَ
- فَجَسَّ ، فَعَاظَتْهُ وَأَسْتَعْلَظَتْ ، فَعَضَّ بِأُخْرَى ، فَلَمْ تُمَثِّلْ
- ٥ فَالْقَى الثَّقَافَ .. ، وَأَوْصَى الطَّرِيْدَةَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا ، لَا تَكِلْ
- وَالْقَمَهَا قَدَّهَا ، فَأَكْبَرَتْ تُحَاشِنُهَا بِغَلِيظِ مَجَلْ
- يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ الْعِنَادِ ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّعْبِ ، حَتَّى تَذُلْ
- ٨ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةٌ ، وَمَمْسُوقَةٌ الْقَدِّ رِيًّا ، جَفَلَ
- ٩ وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ ، وَلَآنَ لَهُ ضِغْنُهَا .. وَأَبْتَهَلَ

وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

إِذَا أَبْضَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرَنَّمَتْ
تَرْنَمَ ثَكَلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الظُّبَى سَهْمُهَا !
وَإِنْ رِيعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

(٤) الحَصَانُ : الحرّة الممتعة التي تعف عن الرية .

(٥) جَهْلٌ : استنزله الشيطان واستخفه .

(٧) الْعَمَلُ : الذى يحسن العمل والحركة فيما يعمل .

(٨) أَذْوَبُ : (جمع ذئب) . أمها : هى الشجرة التى أخذت منها القوس .

(٩) على أربع : أى على أربع طاقات ، وهو أكرم للوتر وأقوى .

(١٠) حَنَّتْ : رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي . الْمُضَيَّلُ : الذى قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه ، فهو يَشْتَدُّهُمْ .

- أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بِالْوَجْدِ عَامِينَ حَتَّى نَحِلَّ
يُزْلِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفْزُ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الْأَمَلَ
فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ ، إِذْ ذَاقَهَا ، هَوَى أَضْمَرَتْهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
٤ تَبَيَّنَ ، إِذْ رَامَهَا ، حُرَّةً حَصَانًا ، تَعِفُّ فَلَا تُبْتَدَلُ
٥ ثَلَيْنِ لِأَنْبِلِ عُشَاقِهَا ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهَلَ
فَأَغْضَى حَيَاءً .. ، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا ، قَدْ عَجَلَ
٧ فَأَهْدَى لَهَا حَلِيَّةً صَاغَهَا بِكَفِّهِ ، وَهُوَ الرَّفِيقُ الْعَمِلُ
٨ تَحْيَرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤَيْ ، رَأَاهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتَظِلُّ
٩ أَعْدَ لَهَا وَتَرَا كَالشُّعَاعِ حُرًّا .. ، عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ فُتِلَ
١٠ فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ حَيْنَ الْمَشُوقِ الْمُضِلُّ

(١) كَفَّلَهَا : جعلها تكفُّله وتضمُّه إليها كالأم . الصغير من بنى أمها : هو أخوها السهم ، فإنهما من شجرة واحدة ، القوس والسهم أخوان .

(٤) أَبْضَى الْقَوْسَ : جذب وترَّها ثم أرسله ، فيسمع له صوت كالبكاء .

(٥) أُرْتَبَتْ : صاحت صياح النائحة الحزينة .

(٦) يُفَجِّعُهَا : ينزل بها الفجعة بعد الفجعة .

(٧) أَعْرَضَ الظُّبْيُ : أمكن الرامي من عُرضه ، أى جانبه .

(٨) قَفَّاه : تبعه وجاء بعده . اضمحلَّ : سقط وانتشع .

- ١ فَكَفَّلَهَا مِنْ بَنِي أُمِّهَا صَغِيرًا ، تَرَدَّى بِرِيشٍ كَمَلْ
لَهُ صَلَعَةٌ كَبْصِيصٍ اللَّهَيْبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلُ
فَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَا رَحْمَةً ، وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ .. لَوْ عَقَلَ !
٤ فَجُنَّ جُنُونُ الْمُحِبِّ الْعَيُورِ .. ، فَأَبْضَ عَنْهَا أَبِي بَطْلُ !
٥ أَرَنْتِ تُبْكِي أَخَاهَا الصَّغِيرَ : وَيَحْيى !! أَخِي !! وَيَلَهُ !! أَيْنَ ضَلَّ
٦ فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا : أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا .. وَاتَّكَلَ !
٧ فَأَعْرَضَ ظَبْيٌ فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا .. ، وَنَادَتْهُ : هَا ! قَدْ قُتِلَ
٨ وَقَفَّاهُ ظَبْيٌ فَصَاحَتْ بِهِ .. ، فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ .. ، فَأَضْمَحَلَّ

فَابَا .. يُسَائِلُهَا : هَلْ رَضِيَتْ بِتُكَلِّمِ الْأَحِبَّةِ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

(١) تُبَادِلُ : تَبَدَّلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا شَاءَ وَيَبْدُلُهَا ، (بالذال المعجمة) .

(٧) تَنَاسَمَ : تَهْدَى إِلَيْهِ نَسِيمَهَا . وَالشَذَا : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ .

١ فَبَاتَا بَلِيلَةَ مَعْشُوقَةٍ تُبَاذِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلَ

كَأَنَّ عَلَيْهَا زَعْفَرَانًا ثُمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَارِ يَمَانٍ كَوَانِزُ

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صَيْنَتْ وَأَشْعِرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

يُغَازِلُهَا ، وَهِيَ مُصَنَّفَةٌ ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنِ رَحْلِ
٧ ثَنَاسِمُهُ عِطْرُهَا ، وَالشَّدَا شَدَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الْأَجْلِ

(٢) سَاهَرَهَا : بات معها ساهراً . يَزِدُّهِ : يستخفُّ لَبَّهِ . وَالْعَرْفُ : الرائحة الطيبة يُعَرِّفُ بِهَا صاحبها .

(٤) الْعَيَّةُ : وعاء من أَدَمَ (جلد) تحفظ فيه الثياب . الْحَمْلُ : هُدْبُ القطيفة وَزَيْبُرُهَا . (أَى : ما يعلو القطيفة من الهُدْبِ الناعم) .

(٦) قَرَّيرٌ : قَدْ أَخَذَتْهُ قُرَّةُ الْبَرْدِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ . وَالسَّمْلُ : الثوبُ الْحَلَقُ الدريس البالى .

تَوَارَتْهُ الْغَيْدُ يَكْنِزُهُ لِرَيْتِهِنَّ ، خَفِيَ الْمَحَلُّ
 ٢ فَسَاهَرَهَا ، يَزْدَهِيهِ الْجَمَالُ وَيُسْكِرُهُ الْعَرْفُ ، حَتَّى ذَهَلَ
 فَنَادَتْهُ ، وَيَحْكُ ! أَهْلَكْتَنِي ! أَغْنَيْ .. هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلَ
 ٤ فَطَارَ إِلَى عَيْبَةٍ ضُمَنْتَ حَرِيرًا مُوشِي نَقْيَ الْحَمَلِ
 كَسَاهَا خَفِيَ بِهَا عَاشِقُ ! إِذَا أَفْرَطَ الْحُبُّ يَوْمًا قَتَلَ
 ٦ فَالْبَسَهَا الدَّفَّاءَ ضِنًّا بِهَا .. وَبَاتَ قَرِيرًا .. عَلَيْهِ سَمَلُ !!

فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَانْتَبَرَى
 لَهَا يَبِّعُ يُغْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِزُ

فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟ ! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا يَبِيعُ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ

فَقَالَ : إِزَارُ شَرْعِيٌّ ، وَارْبَعٌ
مِنَ السِّيَرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِرُ

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتِسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

(١) ثَمَلٌ : أخذ فيه الشرابُ والسُّكر .

(٤) أَمْنَةٌ : أمان من الخوف . غَوَاثِي الْوَجَلِ : ما يغشاه من المخاوف .

(٥) الْوَهْدُ : الأرض المنخفضة . النَّجَادُ : الأرض المرتفعة . الْقُلُلُ (جمع قُلَّة) :
وهو رأس الجبل .

(٦) الصِّلُ : حية تقتل إذا نهشت من ساعتها ، لا تنفع فيها الرقية .

(٧) البائدات الأول : عَادَ وَتَمَوَّدَ (وهم عرب) وَطَسَمَ وَجَدِيسَ وَجُرْهُمَ ،
وما باد من العرب العاربة .

- ١ تَمَتَّعَ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلَاتِهَا نَاعِمًا قَدْ تَمَلَّ
 يَرَاهَا ، عَلَى بُؤْسِهِ ، جَنَّةً تَذَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا ، فَاسْتَظَلَّ
 نَصَاحَتُهَا فِي هَجِيرِ الْقِفَارِ ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلَ
 ٤ فَيَحْرُسُهَا وَهُوَ فِي أَمْنَةٍ ، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الْوَجَلِ
 ٥ يَجُوبُ الْوَهَادَ ، وَيَعْلُو النَّجَادَ ، وَيَأْوِي الْكُهُوفَ ، وَيَرْقَى الْقُلُلَ
 ٦ وَيُقْضَى إِلَى مُسْتَقَرِّ الْحُتُوفِ : فِي دَارِ نَمْرِ ، وَذَيْبٍ ، وَصَلَّ
 ٧ مَنَارِلَ عَادٍ ، وَأَشْقَى ثَمُودَ ، وَحَمِيرَ ، وَالْبَائِدَاتِ الْأَوَّلِ
 مَجَاهِلَ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ أُنَيْسٍ ، وَلَا رَسْمٍ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَّلِ
 يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ ، وَمَجْدُ الْقَدِيمِ ، وَكَيْفَ آتَقَلَّ !
 وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الْأَوَّلُونَ رَحِيقَ الْحَيَاةِ وَحَمَرَ الْأَمَلِ !

(٣) الدُّمْدَمَةُ : صوت مرعج يَرْجُف على الناس وَيُطْبِق .

(٤) سَاعٍ يَقْرُ : بينا هو يسعى هنا وهناك ، إذ ثبت مكانه . ساقٍ : هو ساق
الخمير . أَفْل : غاب وهوى .

(٧) الصَّدِيقُ ، وَالْخِلُّ : يقال للمذكر والمؤنث جميعًا . وَالْخِلَالَةُ : الصداقة
التي تتخلل النفوس .

- وَأَيْنَ الْأَخْلَاءُ كَانُوا بِهَا يَجْرُونَ ذَيْلَ الْهَوَى وَالْعَزَلِ !
 وَمَلِكُ تَعَالَى ، وَطَاغِ عَتَا ، وَحُرُّ أَبَى ، وَحَرِيصُ غَفَلِ !
 ٣ فَدَمْدَمَ بَيْنَهُمْ صَارِخٌ : بَقَاءٌ قَلِيلٌ !! وَدُنْيَا دُولٌ !!
 ٤ فَعَرَّشَ يَخْرُ ، وَسَاعَ يَقْرُ ، وَسَاقِ يَمِيلُ .. وَنَجْمُ أَفَلٍ !!
 زَهْدَتْ إِلَيْكَ ! وَفَارَقْتُهُمْ : أَخْلَاءَ عَهْدِ الصَّبَا وَالْجَذَلِ
 فَنِعَمَ الصَّدِيقُ ! وَنِعَمَ الْخَلِيلُ ! وَنِعَمَ الْأَنْيَسُ .. وَنِعَمَ الْبَدَلُ !!
 ٧ صَدِيقٌ صَدَّقَتْهَا حُرَّةٌ ، وَخَلٌّ خَلَّاتَهَا لَا تُمَلُّ

وَعَابَا مَعَا عَنْ عُيُونِ الْخُطُوبِ ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَدَلٍ
 وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ الْعَاشِقِينَ ، تُضَيِّئُ الدُّجَى لِذَيْبِ الْمَلَلِ

(١) تَسْتَهْلُ : ترقع الصوت إهلاً بالبحج ، وتلبيةً لله سبحانه .

(٢) أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ : هو ما أمر الله به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْبَحْجِ) . الْمَهْلُ : الاستنظار والتؤدة .

(٥) ظِمَاءُ الْقَطَا : القَطَا الوارد الماء . وَالْقَطَا : طائر كالحمام (أصغر منه) يقيم
في الفياق ، يطير طيراً سريعاً في طلب الماء ، وينى أفحوصاً في الأرض ، ويبيض فيه
بَيْضَتَيْنِ مُرْقُطَتَيْنِ . مُحْتَفِلٌ : فيه محافل الناس ومجامعهم .

(٨) جَافِلَةٌ : مذعورة تكاد ترتد من الفزع . جذوة النار : الجمرة الملتبئة .
الْمَقْلُ (جمع مُقْلَةٍ) : وهي العين سوادها وبياضها .
(٩) الكاسر : من جوارح الطير الذي ضم جناحين وانقض . تقاذف : هوى
على عجل . شَعَفَاتُ الْجِيلِ : رؤوسه وقممه .

- ١ وَطَالَ الزَّمَانُ ، فَحَنَّتْ بِهِ إِلَى الْحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهْلُ
- ٢ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ ! كَيْفَ الْقَرَارُ ! وَأَيْنَ الْفِرَارُ ؟ وَكَيْفَ الْمَهْلُ ؟
- تُرَدِّدُهُ الْبَيْدُ بَيْنَ الْفَجَاجِ ، وَفَوْقَ الْجِبَالِ ، وَعِنْدَ السُّبُلِ
- أَصَاخَ لَهُ ، وَأَصَاخَتْ لَهُ ، وَلَبَّتُهُ فَاْمَثَلَتْ ، وَامْتَثَلْ
- ٥ وَطَارًا مَعًا كَظَمَاءِ الْقَطَا ، إِلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلٍ
- فَوَافِي الْمَوَاسِمِ ، فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ : مَنْ أَرَى ؟ .. أَيْنَ ضَلُّ ؟
- أَسْرَ إِلَيْهَا : أُولَئِكَ الْحَجِيجُ !! فَلَبَّى لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ
- ٨ وَكَادَتْهُ جَافِلَةٌ : مَا تَرَى ! أَجْدُودَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلَّ ؟
- ٩ فَمَا كَادَ .. حَتَّى رَأَى كَاسِيرًا تَقَادَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الْجَبَلِ

(١) نَوُجٌ : تتلهب ، ويسمع لتلهبها صوتٌ ، وهو أجيج النار . وتكفُفٌ : تمنعه وتحجزه .

(٤) المختيل : المخادع الذى يطلب غفلة الصيد .

(٧) تنكَّبَ القوسَ : وضعها على منكبيه .

(٨) المُنَادُ : المعرَّجُ . اعتمل : جاهد فى عملها .

(٩) مأكرة : كلمة مكر .

- ١ يُدَانِي الْخُطَا ، وَهُوَ نَارٌ تَوُجُّ ، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ الْعَجَلَ
وَمَدَّ يَدًا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلٍ
وَنَظْرَةً عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلُّ
٤ فَلَمَّا أَهْلٌ وَالَّقَى السَّلَامَ ، وَافْتَرَّ عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَلِ
وَقَالَ : أَذْنْتُ ؟ ! وَيُمنَى يَدَيْهِ تَمَسُّ أَنَامِلَهَا مَا سَأَلَ
رَأَى بَائِسًا مَا لَهُ حُرْمَةٌ تَكُفُّ أَذَى عَنْهُ .. ، بُؤْسٌ وَذُلٌّ
٧ وَقَالَ : فَدَيْتِكَ ! مَاذَا جَمَلْتُ ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتُ يَاذَا الرَّجُلُ ؟ !
٨ وَأَفْدَى الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا ، وَقَوْمَ مُنَادَهَا ، وَأَعْتَمَلَ !!
٩ فَهَزَّتْهُ مَاكِرَةٌ ، لَمْ يَزَلْ يَتِيَهُ بِهَا السَّمْعُ ، حَتَّى غَفَلَ

(١) المِحَال : الكيد والمكر الشديد الخفى . ذَلِيق اللسان : فصيح اللسان
طَلِيقُهُ .

(٢) رَاَزَ الشَّيْءَ : وضعه فى كفه ليعرف ثقله وامتنحنه . وَمَعَاظِفُ الْقَوْسِ :
مقدار انعطافها إذا حَتَّاهَا وَشَدَّ وَتَرَّهَا .
(٣) الْهَبْلُ : تُكَلُّ الْوَلَدُ .

(٤) خَالَسَهَا : نظر إليها خلسة . خَفِضَتْ : سكنت . الْقَوَارِبُ : أعلى الموج .
الْجَاشُ : رُوعَ الْقَلْبِ إذا اضطرب عند الْفَزَعِ . الْوَهْلُ : الْفَزَعُ الْمَلْحَقُ بِالْجُنُونِ .

(٩) رَامَ الشَّيْءَ يَرُومُهُ : طلبه وأرادَه . التَّلَادُ : المال الموروث الذى ولد عندك .
الْجَلَلُ : الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ الْقَدْرُ .

- ١ فَاسْلَمَهَا لِشَدِيدِ الْمَحَالِ ، ذَلِيقَ اللِّسَانِ ، خَفِيَ الْجَيْلُ
- ٢ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتِهِ ، وَرَارَ مَعَاطِفَهَا وَالثَّقْلُ
- ٣ دَعَتْ : يَا خَلِيلِي ! مَاذَا فَعَلْتَ ؟ ! اسْلَمْتَنِي ؟ ! لِسَوَاكِ الْهَبْلُ !!
- ٤ فَخَالَسَهَا نَظْرَةً خَفَضَتْ غَوَارِبَ جَاشٍ غَلَا بِالْوَهْلِ

- وَقَالَ : لَكَ الْخَيْرُ ! فَدَيَّتَنِي بِنَفْسِكَ !!

- بَارِ قِسِي !

- أَجَلُ !!

- فَبَعْنِي إِذَنْ !!

- هِيَ أَعْلَى عَلَيَّ ، إِذَا رُمْتُهَا ، مِنْ تِلَادٍ جَلَلٍ !

(٣) تشتريها : تبيعها .

(٦) البَحْلُ (بفتحين) : هو البُحْلُ .

(٨) بِاسْمِهَا : نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ سَحَرٍ مُبْتَسِمٍ .

(١٠) دَهَاكَ : أَصَابَكَ بِدَاهِيَةٍ . الْحَبْلُ : الْجَنُونُ .

- فَقَالَ : نَعَمْ ! لَكَ عِنْدِي الرُّضَى ، وَفَوْقَ الرُّضَى !

- [وَيْلُهُ مِنْ مُضِلٍّ !]

٣ - فَهَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! ...

- نَعَمْ أَشْتَرِي !

- لَكَ الْوَيْلُ مِثْلَكَ يَوْمًا بَخْلٍ !

٦ - فَذَيْتُكَ !! أُعْطِيتُ مَا تَشْتَهِيهِ .. مَا بِي فَقْرٌ وَلَا بِي بَخْلٍ !

فَنَادَتْهُ ، وَتَحَكَ ! هَذَا الْحَبِيبُ ! خُذْنِي إِلَيْكَ ، وَدَعْ مَا بَدَلَ

٨ فَبَاسَمَهَا نَظْرَةً .. ، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةً سُخْرٍ مُطْلٍ :

- بَكِّم تَشْتَرِيهَا ؟! ...

١٠ فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ ! حَذَارِ ! دَهَاكَ الْحَبْلُ !!

(١) نَضَحْتُ : فَضَّيْتُ مَكْرَهَا كَالْعَرَقِ . دَعَّ عَنْكَ : احذر . تُعْتَقِلُ : تُؤْخِذُ
من غَفَلَتِكَ .

(٢) الشَّرْعَبَى : ثِيَابٌ جَيَادٌ سَابِغَةٌ . وَالسَّيْرَاءُ : بُرْدٌ فِيهِ سَيُورٌ يَخَالِطُهَا الْحَرِيرُ .

(٣) التُّجَارُ (جَمْعُ تَاجِرٍ) .

(٤) جَلَاها : صَفَلَهَا . الْهَرَقْلِيُّ : الرَّومِيُّ ، نَسَبَةٌ إِلَى هِرَقْلٍ الْمَلِكِ .

(٦) خَالَ : مَكَانٌ تُصْنَعُ فِيهِ الْبُرُودُ الْجَيِّدَةُ .

(٨) الْغَدِيرُ : مَكَانٌ يَغَادِرُ السَّيْلُ فِيهِ بَعْضُ الْمَاءِ . وَالْوَسْطَلُ : الْمَاءُ يَتَحَلَّبُ مِنْ
جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، لَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ .

١. لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرَهَا عَلَيَّ ، فَدَعَّ عَنْكَ ! لَا تُعْتَمَلْ

٢. - فَقَالَ : إِزَارٌ مِنَ الشَّرْعِيِّ ، وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيرَاءِ الْحُلِّ

٣. بُرُودٌ تَضِيحُ بِهِنَّ التَّجَارُ إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكَ أَجَلٌ

٤. وَمِنْ أَرْضٍ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلَاها الْهَرَقْلِيُّ ، مِثْلُ الشُّعْلِ

ثَمَانٍ ! تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى ! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ ، نَعَمَ الْبَدَلُ !

٦. وَبُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ خَالٍ ، أَشْفُ وَأَنْعَمُ مِنْ خَدِّ عَذْرَاءٍ .. ، بَلْ

إِذَا بَسِطًا تَحْتَ شَمْسِ النَّهَارِ ، فَالشَّمْسُ تَحْتَهُمَا .. ، لَيْسَ ظِلٌّ

٨. وَتَسْعُونَ مِثْلَ عُيُونِ الْجَرَادِ .. ، بَرَّاقَةٌ كَعَدِيرِ الْوَشَلِ

كَمِرَّةٍ حَسَنَاءَ مَفْتُونَةٍ ، كَرَأْسِ سِنَانٍ حَدِيثِ صِقْلٍ

(١) الأديم : الجلد المدبوغ اللين . الخُصَل (جمع خُصَلَة) : وهي لفيفة من الشعر المجتمع .

(٣) غمغمةُ : الكلام الذى لا يتبينه السامع . والنقيّة : كلمة ذات نعمة .
والزّارى : العائب المظهر للاحتقار .
(٤) الإِسَارُ : الأسر . والسُوَام : المساومة فى البيع . والشُّراك (جمع شرك) :
وهو حباله الصائد يرتبك فيها الصيدُ . أَحْتَبِلَ : وقع فى حباله الصائد .

١ أَجَلٌ .. !! وَأَدِيمٌ كَمِثْلِ الْحَرِيرِ ، يُطَوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ الْخُصَلِ

٢ وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الرَّحَامِ ، وَأُذُنٌ تَمِيلُ ، وَرَأْسٌ يُطَلُّ
وَعَمَقَمَةٌ ، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ ، وَنَفْيَةٌ زَارٍ ، وَآتٍ سَأَلَ

٣ وَعَاشِقَةٌ فِي إِسَارِ السُّوَامِ !! وَعَاشِقُهَا فِي الشَّرَاكِ آخِثِلُ
تُنَادِيهِ مَلْهُوفَةٌ تَسْتَعِيثُ ، ضَائِعَةُ الصَّوْتِ .. ، عَنْهَا شُغْلُ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا ،
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ
فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ

(٢) السُّورَةُ : المنزلَةُ الرفيعةُ المشْرِقةُ الظَّاهِرةُ . خَلَجَاتُ الخَبْلِ : ما يَتَجَاذِبُ
المُخْبُولُ مِنَ الاضطرابِ ، فَتَتَفَكَّكُ أوصالُه ، وَيَتَمَايَلُ يَمْنَةً وَيسَرَةً .
(٣) الْفَلَائِلُ (جَمْعُ قَلْبٍ ، بِسُكُونِ اللَّامِ) : ثُقُورَةٌ فِي الجَبَلِ يَقْطُرُ فِيهَا مَاءٌ
وَاشْتَلَّ مِنْ سَقْفٍ أَوْ كَهْفٍ ، وَهُوَ أَصْفَى مَاءٍ . وَالْعُرْنَيْنِ : أَوَّلُ الْأَنْفِ . تَحْتَ مَجْتَمَعِ
الْحَاجِبِينَ ، حَيْثُ يَكُونُ الشَّمَمُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَرَمِ الْأَصْلِ .
(٤) الزَّاكِي : النَّابِتُ فِي نِعْمَةٍ وَخَصْبٍ وَكَرَمٍ . نَمَاهُ : جَعَلَهُ نَامِيًا مِمْتَلِيًا نَاعِمًا .
وَالسَّرَاءُ : الْمُرُوءَةُ وَالسَّخَاءُ وَالشَّرَفُ .

(٧) كَاذُهُ بِعَقْلِهِ : أَحْتَالُ عَلَيْهِ وَغَلَبَ عَقْلُهُ . الْمَمْجُلُ : الشَّدِيدُ الْمَكْرِ وَالْدهَاءِ .
(٨) وَئِكَ : مِثْلُ ، وَبِئِكَ ، تَعْجَبُ وَتَهْدِيدُ . السَّقَاءُ : السَّفَهُ وَالطَّيْشُ .
الْحَدِيدُ : الصَّدِيقُ الْمِصْحَابُ . وَالْخُلُ : الصَّدِيقُ الْمُتَدَاخِلُ الْمُوَدَّةِ .

- ١ [أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ! .. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلُ ؟]
- ٢ أُجَنُّ ؟ نَعَمْ .. لَا ! .. أَرَى سُورَةَ مِنَ الْعَقْلِ ، لَا خَلَجَاتِ الْخَبْلِ !
- ٣ وَعَيْنِي صَفَاءٌ كَمَا الْقَلَابِ ، وَعِرْنَيْنٌ أَثِفُ سَمًا وَاعْتَدِلْ
- ٤ وَجَبْهَةً زَاكِ ، نَمَاهُ النَّعِيمُ فِي سُودْدٍ وَسَرَاءِ نُبْلِ
- ٥ أُيُعْطَى بِهَا الْمَالُ ؟ هَذَا الْخَبَالُ ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا ؟ تُكِلُّ !!
- ٦ وَيَارَبِّ ! يَارَبِّ ! مَاذَا أَقُولُ ؟ .. أَقُولُ نَعَمْ ! .. لَا ! فَهَذَا خَطْلٌ
- ٧ أَيْعُ !! وَكَيْفَ ! .. لَقَدْ كَادَنِي بِعَقْلِي هَذَا الْخَبِيثُ الْمَحِلُّ
- ٨ أَفَارِقُهَا ! وَيْلَكَ !! هَذَا السَّفَاهُ ! قَوْسِي ! كَلَّا ! حَدِيثِي وَخِلُّ !!
- ٩ أَجَلُّ !! بَلْ هُوَ الْبُؤْسُ بَادٍ عَلَيَّ ! فَاغْرَاهُ بِي ! وَيَحَهُ ! مَا أَضِلُّ !!
- ١٠ يُسَاوِمُنِي الْمَالُ عَنْهَا ؟ نَعَمْ ! .. إِذَا لَيْسَ الْبُؤْسُ حُرًّا أَذِلُّ

(٣) النُكْر : الدهاءُ المنكر الخبيث . أَهْتَبَلَ الْفُرْصَةَ : اغتنمها وَأَفْتَرَصَهَا عَلَى غَمَلَةٍ .

(٥) السُّفْلُ (جمع سِفْلَة) : وهم أراذل الناس وسُقَاطهم .

(٨) حَبَاه : أعطاه فأكرمه . فاطر النَّيِّرَات : المبتدئ خلق الكواكب المنيرة .
وباري النَّبَات : خالقه .

(١٠) الْهُون : الهوان والخِزْي . وَالْقَلَّ : القلة والنقص .

- إِذَا مَا مَشَى تَزْدْرِيه الْعُيُونُ ، وَإِنْ قَالَ رُدَّ كَانَ لَمْ يَقُلْ
 نَعَمْ ! إِنَّهُ الْبُؤْسُ !! أَيْنَ الْمَقْرُ مِنْ بَشَرٍ كَذَّابِ الْجَبَلِ ؟
 ٣ ثَعَالِبُ تُكْرِ تَجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلُ
 كِلَابٌ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَذَلُ
 ٥ فَوَيْحِي مِنَ الْبُؤْسِ ! .. وَيْلٌ لَهُمْ ! .. أَرَى الْمَالَ تُبْلَا يُعَلَّى السَّفَلُ
 فَخُذْ مَا أُتَيْتَ بِهِ .. !! إِنَّهُ مَلِيكَ يُخَافُ ، وَرَبُّ يُجَلُّ
 وَسُبْحَانَ رَبِّي ! يَدِي ! مَا يَدِي ؟ ! بَرَيْتُ الْقِسِيَّ بِهَا لَمْ أَمَلْ !
 ٨ حَبَانِي بِهَا فَاطَرُ النَّيِّرَاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ !
 وَأَوْدَعَهَا سِرِّهَا عَالِمٌ خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ !
 ١٠ وَفِي الْمَالِ عَوْنٌ عَلَى مِثْلِهَا ! وَفِي الْبُؤْسِ هُونٌ ، وَذُلٌّ ، وَقُلٌّ !]

- (٢) أَجَشُّ : فيه جُشَّة ، أى غلظ وبحة . صَلَّ الصوت : إذا خالطته جِدَّة
كأنها صوت حديد على الصفا .
(٣) أَتَخَبَّل : أخذته التَّخَبُّل ، كالجنون المضطرب .
(٤) أَشْفَى : أشرف . يَسْتَقِيلُ : ينهض .

(٦) وَغَوْعَة : صوت مختلط كَوَغَوْعَة الكلاب . والزَّجَل : الجلبة كأصوات
اللاعبين .

(٧) يُوْجُّ : يُصَوِّت بكلام مرتفع سريع . وَيَعِجُّ : يصيح صياحا عاليًا
كالهدير . وَيَخُور : يصيح بصوت غليظ كخُور الثَّور . وَصَهَل : أخرج صوتًا مبحوحًا
كصهيل الخيل .

(١٠) الْحَشْرَجَةُ : غَرْغَرَةُ المَيْت ، وَتَرْدُّدُ نَفْسِهِ .

- تَنَادَا بِهِ : أَنْتَ ؟ مَاذَا دَهَاكَ ؟ ! مَالِكَ يَا شَيْخُ ؟ ! قُلْ يَا رَجُلُ !
- ٢ وَآتِ يُصْبِحُ ، وَكَفَّ تُشِيرُ ، وَصَوْتُ أَجَشُّ ، وَصَوْتُ يَصِلُ !
- ٣ وَطَنْتُ مَسَامِعُهُ طَنَّةً .. ، وَزَاغَتْ نَوَاطِرُهُ وَأَخْتَبِلُ
- ٤ وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ الْمَرِيضِ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ مَا يَسْتَقِيلُ ..
- تَنَادِيهِ : وَيَحَكَ ! وَيَحِي ! هَلَكْتُ ! ! أَتُوكَ بِقَاصِمَةٍ ! وَائْكَلُ !
- ٦ تَلَفَّتْ يُصْغِي .. ، وَمِثْلُ اللَّهِيْبِ ضَوْضَاءُ وَغَوَعَةٍ فِي رَجُلٍ
- ٧ فَهَذَا يُؤُجُّ .. ، وَهَذَا يَعِجُّ .. ، وَهَذَا يَحُورُ ... ، وَهَذَا صَهْلُ !
- وَدَانِ يُسِيرُ .. ، وَدَاعِ يَحُثُّ .. ، وَكَفَّ تُرْبِتُ : بَعِ يَا رَجُلُ !
- لَقَدْ بَاعَ ! بَعِ ! بَاعَ ! لَا لَمْ يَبِعْ ! غَنَى الْمَالُ ! وَيَحَكَ ! بَعِ يَا رَجُلُ !
- ١٠ [وَحَشْرَجَةُ الْمَوْتِ : تُحَذِّنِي ... إِلَيْكَ ! !

- لَيْتَكَ !! لَيْتَكَ ! [

بِعْ يَا رَجُلُ !!

[أَغْنِنِي ! . أَجَلُ !]

بَاعَ ! ماذا ؟ أْبَاعَ ! نَعَمْ بَاعَ !! قَدْ بَاعَ ! حَقًّا فَعَلَ ؟

[أَغْنِنِي ! أَغْنِنِي ! نَعَمْ !]

قَدْ رَبِحْتَ !! .. بُورِكَ مَالُكَ !

أَيْنَ الرَّجُلُ ؟

مَضَى ! ... أَيْنَ ! .. لا ، لَسْتُ أَذْرِي ! .. مَتَى ؟

لَقَدْ بَعْتَ ؟ ... كَلَّا وَكَلَّا ... أَجَلُ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَعْتَ !

كَلَّا ! كَذَبْتَ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَاعَ !

- وَيْحِي ! أَجَلُ

(٦) الْحَمِيمُ : الماء الحار . نَسْتَهْلُ : نَتَصَبُّ .

(٧) لَاعَجَ : مُخْرِقٌ . الْحَبْلُ : اضْطِرَابُ الْجَنُونِ .

(٨) غَامَتْ : أَصَابَهُمَا غَيْمٌ كَالسَّحَابِ . وَهَطَلُ : يَسِيلُ مُتَابِعًا .

(٩) هِيضَ : انْكَسَرَ وَتَدَلَّى . وَأَعْتَقَلَ : حَبَسَ وَمُنِعَ الْكَلَامَ .

لَقَدْ بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. جُزِئْتُمْ بِخَيْرِ جَزَاءٍ ، أَجَلٌ !! ..
 أَجَلٌ .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا !! أَجَلٌ بَعْتُهَا !! لَا . أَجَلٌ لَا . أَجَلٌ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عِبْرَةً ،
 وَفِي الصَّدْرِ حَزَارٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ

- [أَجَلٌ .. لَا .. أَجَلٌ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. أَجَلٌ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. لَا .. أَجَلٌ]
- ٦ وَفَاضَتْ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الْحَمِيمِ ، لَذَّاعَةً ، نَارُهَا تَسْتَهْلُ
- ٧ بُكَاءٌ مِنَ الْجَمْرِ جَمْرِ الْقُلُوبِ ، أُرْسَلَهَا لَاعِجٌ مِنْ حَبْلِ
- ٨ وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهِ ، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَ الْقَلْبِ يَهْطِلُ فِيمَا هَطَلْ
- ٩ وَخَانِقَةً ذَبَحَتْ صَوْتَهُ ، وَهَيْضَ اللِّسَانِ لَهَا وَاعْتَقِلْ

(٢) تخاذل : تتخاذل ، يخذل بعضها بعضًا .

(٤) السَّوَام : المساومة في البيع . والأُرُوم : أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها . مَثَل : انتصب .

(٥) صُلُود : صُلْبٌ أملس . عُثْلٌ : غليظ ثقيل ثابت .

(٦) الدَّهْبَى : الجراد قبل أن يطير . تَنْزَى : تذب وتنفذ . دهاه : غشيه وأصابه . والطل : المطر الخفيف .

(٩) كَرَكِرَ الضاحك : ردَّد الضحك .

(١٠) السَّمْتُ : الهياة .

- وَأَغْضَى عَلَى ذِلَّةٍ مُطْرِقًا ، عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ مِثْلُ الْجَبَلِ
 ٢ أَقَامَ .. ، وَمَا إِنَّ بِهِ مِنْ حَرَكَ ، تَخَاذُلَ أَعْضَاؤُهُ كَالَأَشْثَلِ
 وَفِي أُذُنَيْهِ ضَجِيجُ الرَّحَامِ ، وَ« بَغْ بَاغَ ، بَغْ بَاغَ ، بَغْ يَا رَجُلُ ! »
 ٤ وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السُّوَامُ بِمُهْجَتِهِ ، كَأُرُومٍ مِثْلُ
 ٥ كَانَ صَخْرَةً نَبَتَتْ ، حَيْثُ قَامَ ، تِمْنَالِ حُزْنٍ صَلُودٍ عُثْلُ
 ٦ وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبْيِ عِجَالًا تَنْزَى ، دَهَا هُنَّ طُلُ
 فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ ! رَدَّتْ عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلَ !
 وَمِنْ هَامِسٍ : وَيَحَهُ مَا دَهَاهُ ! وَمِنْ مُنْكَرٍ : كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلُ !
 ٩ وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرَكْرَكَتْ ضَحْكَةً لَهُ مِنْ مَزُوجٍ خَبِيثٍ هَزَلُ
 ١٠ وَمِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا أَكِيلًا ! تَلَبَّسَ فِي سَمْتٍ مَنْ قَدْ أَكَلَ !

(١) هَيْئَةً : الكلامُ الخَفِيُّ كالْذُنْدَنَةِ . غَمَعَمَتْ : آخِثَلَطَتْ ولم تَتَبَيَّن .

(٣) الزَّوْعَى : الصوتُ المتداخِلُ كأصواتِ النحلِ المَجْتَمِعِ . يَهْصِلُ : يكونُ له صوتٌ كأصواتِ أجوافِ الخيلِ إذا عَطِشَتْ .

(٤) أَسْفَرَ : أشرق . أُنْجَابَ : انْكَشَفَ . الْمُخْبِثُ : الخاشعُ المتضائلُ .

(٥) سَبَتَهُ : سَكُنَ وإِطْرَاقُ بلا حراكِ .

(٦) الوَقِيدُ : المريضُ الدُّنْفُ المُشْفَى على الهلاكِ .

(٩) هَامٌ مُحَلَّقَةٌ : رُؤُوسٌ مخلوقةٌ . رُجِفَ (جمع راجف) : تَرْتَجِفُ وتضطربُ . تَزْيِغُ البَصَلَ : المتزوعُ بجذوره .

(١٠) أَغْرِيَةٌ (جمع غُرَاب) . حَجَلٌ : يَمْشِي مِشْيَةً قَبِيحَةً ، وهى مِشْيَةُ الغرابِ .

١. وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَّهُ كَالْمُعْزَى ، وَهَيْئَةً غَمَعَتْ لَمْ تُقَلِّ
- وَمِنْ مُشْفِقٍ سَاقٍ إِشْفَاقُهُ وَوَلَّى ، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُؤَلِّ
٣. وَسَالَتْ جُمُوعُهُمْ فِي الرَّمَالِ ... ، وَمَاتَ الْوَعَى .. غَيْرَ حَسٍّ يَصِلُ
٤. وَأَسْفَرَ وَأَلْجَبَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُحِبِّ خَاشِعٍ كَالْمُصَلِّ
٥. وَظَلَّ طَوِيلًا .. لَهُ سَبْتَةٌ ، وَإِطْرَاقَةٌ ، وَأَسَى يَنْهَمِلُ
٦. أَفَاقٌ وَقِيدًا ، بَطِيءٌ الْإِفَاقَةِ .. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالْمُطَلِّ
- وَقَلَّبَ عَيْنَيْهِ : مَاذَا يَرَى ؟ وَأَيْنَ الرَّحَامُ ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلُ !
- رَأَى الْأَرْضَ تَمْشِي بِهِمْ كَالْحَيَالِ ، أَشْبَاحُهُمْ خُشْبٌ تَنْتَقِلُ
٩. وَهَامٌ مُحَلَّقَةٌ رُجْفٌ ، وَأُخْرَى بَدَتْ كَنْزِيعِ الْبَصَلِ
١٠. وَأَغْرَبَةٌ : بَعْضُهَا جَائِثٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا ، وَبَعْضٌ حَجَلٌ

(١) الحيازيم (جمع حَزِيم) : وهو ما اكتنف الحُلُقُوم . والقُلُلُ : الرؤوس ،
والحية تُفعل ذلك وهي تَشْمُسُ .

(٢) أَرْفَلَةٌ : الجماعة تأتي بسرعة . والضَّبَاع : من لعام الحيوان . تُخْمَعُ :
تخرج . هَمَلٌ : مهملة ملقاة .

(٣) الضَّبَاب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل . مَرَقَنَ : تخرجن مسرعات
كالسهم من الرمية (المرمية) . حَقَل : احتفل بموجه .

(٥) السَّتَّة : خفة النعاس .

(٦) الأَعْطَافُ (جمع عَطِيف) : وهو الجانب ، من الرأس إلى الورك .

(٧) الكَبَلُ : القَيْدُ الضخم الثقيل . يَخْتَلِجُ الشيء : ينتزعه . والعَلُ : القيد
الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق .

(٨) الناشط : الجاذب الدُّلو من البحر . والرِّشَاء : حبل الدلو الطويل .

(٩) مُلْجَلْجَة : مترددة ثقيلة لا تكاد تخرج أو تدخل . هَلَلٌ : فَرْعٌ وَفَرْقٌ
وَنُكُوصٌ .

- ١ وَحَيَّاتُ وَادٍ ، لِشَمْسِ الضُّحَى ثُلُوَى حَيَازِمَهَا وَالْقُلُلُ
- ٢ وَأَرْفَلَةٌ مِنْ ضِبَاعِ الْفَلَاةِ تَخْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلٍ
- ٣ وَهَنَا وَهَنَا ضِبَابٌ مَرَقْنَ مِنْ كُلِّ جُحْرِ لَسِيلِ حَفَلٍ
- وَتَوْبٌ يَطِيرُ بِلَا لَابِسٍ ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أُنَى تَمَلٍ
- ٥ تَمْطَى بِهِ الْبَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ ، وَمِنْ سِنَةِ كَفْتُورِ الْكَسَلِ
- ٦ وَدَبَّتْ إِلَيْهِ بَقَايَا الْحَيَاةِ ، فَرَفَعَ أُعْطَافَهُ وَاعْتَدَلَ
- ٧ وَظَلَّ يُنَازِعُ كَبَلَ الدُّهُولِ ، وَيَخْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلٍّ
- ٨ كَنَاشِطٍ ثَقِيلٍ طَوِيلِ الرِّشَاءِ مِنْ هُوَةٍ فِي جَضِيضِ الْجَبَلِ
- ٩ رُوَيْدًا ، رُوَيْدًا ، فَتَابَتْ لَهُ مُلْجَلَجَةً يَعْتَرِيهَا هَلَلٌ
- وَمِثْلُ الْحَمَامَةِ بَيْنَ الضُّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَوَاشِي بَلَلٍ

(١) رَكِيمٌ : على الأركان ثقيل .

(٢) لَأَيَّاءُ بِلَأَى : بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس .

(٣) خَامِرُهُ : غشي نفسه . أَهْلٌ : برأ من مرضه وأفاق .

(٦) تَزْهَرُ : تتلألأ . تَأْتَكُلُ : تتوهج كالنار إذا اشتد لها ، وأكل بعضها بعضها .

(٧) انظر : البيت الثاني ص : ٥١ .

(٨) الْغَنَى : ما أخذه من المال والمتاع ، فكان له غنى . انتمى : اعتزل ناحية .

- ١ يُقَلِّبُ جُنُجْمَةً ، خَالَهَا كَجُلُودِ صَخْرٍ رَكِينٍ حَبَلٌ
- ٢ فَلَايَا بِلَآئِي ، وَآبَتْ لَهُ مُبَعَثَةٌ مِنْ أَقَاصِي الْعِلَلِ
- ٣ وَنَفْسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةٌ ، وَخَامَرُهُ الْبُرءُ حَتَّى أَهْلُ
- أَحْسَ بِكَالْجَمْرِ فِي رَاحَتَيْهِ : سَعِيرٌ تَوَقَّدَ !! مَاذَا آخْتَمَلُ ؟
- وَيَسْطُ كَفِّيهِ : مَاذَا أَرَى ؟ جَوَابٌ حَيْثُ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ !!
- ٦ عُيُونٌ تُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ ، مِنْ الْخُبْثِ تَزْهَرُ أَوْ تَأْكِلُ !!
- ٧ [أَجَلٌ يَغْتُهَا ؟ يَغْتُهَا ! يَغْتُهَا ! .. بَقَاءٌ قَلِيلٌ ، وَدُنْيَا دُونَ !]
- ٨ وَالْقَى الْعَنَى لِلثَّرَى ! وَاتَّحَى ، وَنَفَضَ كَفِّيهِ : [حَسْبِي ! أَجَلٌ]

(٢) الغُلْلُ (جمع غُلَّة) : وهى حرارة الجزن .

(٣) الْمُضْمَرَات : البعيدة التى يخفى مكانها . والغُيُوب (جمع غَيْب) : وهو الأرض المطمئنة ، التى يغيب فيها سالكها . والبلابلُ : قَلَقَات الهموم . والسَّجِلُ : الكتاب أو الصُّلُّ الذى يطوى .

(٤) نوافذُ : ماضيات ، كالسهام تنفذ فى النفس . تَنْتَضِل : تترامى وتُخْتَصِم .

(٩) تَدَجَّى : لبسه الظلام .

(١٠) الآية : العلامة العجيبة ، وهى يده . نَصَلَ : طَفَّىءَ لونها وذَهَبَ .

- وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتِ الثِّيَابِ وَالْبَزَّ نَظْرَةً لَا مُحْتَفِلَ !
 ٢ وَوَلَّى كَهْمِيًّا ، ذَلِيلَ الْخُطَا ، بَعِيدَ الْأَثَاةِ ، خَفِيَّ الْعُلَلِ !
 ٣ وَأَوَّغَلَ فِي مُضْمَرَاتِ الْغُيُوبِ يَطْوِي الْبَلَابِلَ طَى السَّجَلِ
 ٤ أَرَادَ لِيَنْسَى ، وَيُبَيِّنَ الضُّلُوعَ نَوَافِذُ مِنْ ذِكْرِ تَنْتَضِلِ
 فَأَخِيَتْ صَبَابَتُهُ ، وَالْجِرَاحُ دِمَاءُ مُفْرَعَةٍ لَمْ تَسِلِ
 ثَرِيهِ الرُّؤْيَى وَهُوَ حَى النَّهَارِ ، وَتَسْرَى بِهِ وَهُوَ لَمْ يَنْتَقِلِ
 يُخَالِسُ مَنْكِبَهُ نَظْرَةً ، فَتَلَفَتْهُ حَسْرَةٌ تَسْتَدِلُّ
 وَيَسْطُ كَفِّهِ مُسْتَعْرِقًا ، فَتَحَسَّبُهُ قَارِيًا قَدْ ذَهَلَ
 ٩ يَرَى نِعْمَةً لَبَسَتْ نِقْمَةً ، وَنُورًا تَدَجَّى ، وَسِحْرًا بَطَلَ
 ١٠ وَآيَتُهُ عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا نَصَلَ

- (١) أَسْرَارُ الْكَفِّ : خطوطها التي تدلُّ على الْمُغَيَّبِ من أسرارها .
- (٢) السَّحْقُ : البالي الْمُنْسَحَق . تَهْتَكُ : تَحْرَقُ وتساقط . الأديم : الجلد المدبوغ . الثَّغْلُ : الذي فسد دِبَاغُهُ فَتَفَتَّتْ وَتَرَفَّتْ .
- (٣) السَّنَا : الضوء العالي .
- (٤) بِهِيمٌ : مظلم لا ضوء فيه ، ولا منفذ لبصر .
- (٥) ثَلَاوُذٌ : تدور كأنها تطلب ما تلوذ به . اللُّغزُ : الطريق الملتوى المشكل يضلُّ سالكه . الداجي : الساتر ، الذي يلبس ما فيه ويستره . والدَّغْلُ : الشجر الملتف المشتبك النبات .
- (٦) أُسْوَدَةٌ (جمع سَوَادٍ) : وهو شخص الشيء ، لأنه يرى من بعيد أسود . حَظِفَتْ : تسرع كالشعاع الخاطف .
- (٧) هَدَلٌ : غَنِي غناء الحمام .
- (٨) السُّدُفُ (جمع سُدْفَةٍ) : ظلمة مختلطة بضوء يشوبها . الضَّئَالُ : السُّدْرُ ينبت في السهول ؛ تُسَوَّى من قضبانهِ السُّهَامِ .

- ١ وَأَسْرَارَهَا فَضَّهَا طَائِفٌ لَهُ سَطَوَةٌ وَأَذَى حَيْثُ حُلٌّ
- ٢ وَسَحَقٌ غِشَاءٌ عَلَى أَعْظَمٍ ، تَهْتَكُ مِثْلَ الْأَدِيمِ النَّعْلُ
- ٣ وَمَسَّتْ أَنْامِلُهُ رَجْفَةً ، تَسَاقَطَ عَنْهَا سَنَاهَا وَزَلُّ
- ٤ وَأَفْضَى بِنَظَرَتِهِ نَافِذًا إِلَى غَيْبِ مَاضٍ بِهِيمِ السُّبُلُ
- ٥ تَلَاوُذُ أَشْبَاحِهِ ، كَالذَّلِيلِ ، يُلْعِزُ نَحِيلَ ، وَدَاجِي دَغَلِ
- ٦ وَأَسْوَدَةٌ خَطَفَتْ فِي الظَّلَامِ هَارِيَةً مِنْ صَيُودِ حَتَلِ
- ٧ وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَتْ ، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيْعٍ هَدَلِ
- ٨ وَشَقَّتْ لَهُ السُّدَفُ الْغَاشِيَاتِ حَسَنَاءُ ضَالٍ عَلَيْهَا الْحُلُّ
- أَضَاءَ الظَّلَامِ لَهَا بَعْتَةٌ ، وَقَوَّضَ خَيْمَتَهُ وَارْتَحَلَ
- أُطْلَتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ الْعُصُونِ عَذْرَاءُ مَكْنُونَةٌ لَمْ تُنَلِّ

(١) الكلل (جمع كِلَّة) : وهى الستر الرقيق ، كالذى تكون فيه العروس .
وانظر البيت الرابع ص : ٤٠ .

(٣) المستوفز : هو القاعد إذا استقلَّ على رجليه يتهباً للقيام ، ولَمَّا يَسْتَوِ قائماً
بعدُ . تَلَطَّى : التهب كاللظى .

(٦) انظر : البيت الثالث ص : ٥١ .

- ١ « رَأَى غَادَةً تُشِئَتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ » ، عَلَيْهَا الْكِلُ
 عَرُوسٌ تَمَائِلُ مُحْتَالَةً ، ثُمِثُ بَدَلٌ ، وَتُحْيِي بَدَلُ
 ٣ وَنَادَتْهُ ، فَأَرْتَدَّ مُسْتَوْفِزًا بِجُرُحِ تَلْظِي وَلَمْ يَنْدِمِلْ :
 أَفُقْ ! قَدْ أَفَاقَ بِهَا الْعَاشِقُونَ قَبْلَكَ ، بَعْدَ أَسَى قَدْ قَتَلَ !
 أَفُقْ ! يَا حَلِيلِي ! أَفُقْ ! لَا تَكُنْ حَلِيفَ الْهُمُومِ ، صَرِيعَ الْعِلَلِ
 ٦ فَهَذَا الزَّمَانُ ، وَهَذِي الْحَيَاةُ ، عَلَّمَتْنِيهَا قَدِيمًا : دُولُ !!
 أَفُقْ ! لَا فَقْدْتُكَ ! مَاذَا دَهَاكَ ؟ ! تَمَتَّعْ ! تَمَتَّعْ بِهَا ! لَا تُبَلْ !
 بِصُنْعِ يَدَيْكَ تَرَانِي لَدَيْكَ ، فِي قَدْ أُخْتِي ! وَنَعَمَ الْبَدَلُ !

(٣) انظر : البيت الثامن ص : ٥٩ .

(٤) استهل : رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه . وانظر : البيت السابع
ص : ٥٢ .

صَدَقْتَ ! صَدَقْتَ ! . وَأَيْنَ الشَّبَابُ ؟ وَأَيْنَ الْوُلُوعُ ؟ وَأَيْنَ الْأَمَلُ ؟

صَدَقْتَ صَدَقْتَ !!! . نَعَمْ قَدْ صَدَقْتَ ! وَسِرُّ يَدَيْكَ كَانَ لَمْ يَزَلْ

٣ حَبَاكَ بِهِ فَاطِرُ النِّيَرَاتِ ، وَبَارِى النَّبَاتِ ، وَمُرْسَى الْجَبَلِ

٤ فَقُمْ ! وَاسْتَهْلْ ، وَسَبِّحْ لَهُ ! وَلَبَّ لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلْ

... وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَإِلَّا تَكُنْ رَضِيَتْ فَقَدْ أُمْلَلْتُكَ ،
وإذا أنا قد أَسَأْتُ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتُ الْإِحْسَانَ . وَلَكِنَّكَ
بَعَثْتَ كَوَامِنَ نَفْسِي مِنْذُ رَأَيْتُكَ ، فَتَوَسَّمتُ وَجْهَكَ ،
وَعَرَفْتُ فِيهِ شَيْئًا أَخْطَأْتُهُ فِي وَجْهِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا .
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْظِكَ وَأَعْظَ نَفْسِي بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، إِذْ
جَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ قُدُورَةً وَعِبْرَةً ، وَأَتَاهُمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ
مَا لَا يَفْعُلُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ، وَلَا يُضَيِّعُهُ إِلَّا مُسْتَهِينٌ لَا يَبَالِي .
وَقَدْ بَلَّغَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِ بِلَاغًا يُضِيءُ لِكُلِّ حَيٍّ نَهَجَ
حَيَاتِهِ ، وَيُمْسِكُ عَلَيْهِ هَدًى فِطْرَتِهِ ، إِذْ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ » وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ،

وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ ،
وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ . فَأَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ فِي
إِتْقَانِ مَا نَصْنَعُ ، وَإِحْسَانِ مَا نَعْمَلُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى
الرُّشْدِ ، وَالْإِتْقَانَ فِي الْعَمَلِ ، وَالْإِحْسَانَ فِيْمَا نَأْتِي وَمَا نَذَرُ .
وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ .
وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا صَالِحًا ،
وَسَدَادًا فِي الْخَيْرِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

من أخيك

القاهرة : ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

محمود محمد شاكر

١٥ يناير سنة ١٩٥٢ م

... تلك هي قصيدة الشماخ ، بل تلك هي لؤلؤة
من لآلئ الشعر العربي القديم ، تتعاقب عليها العصور
والحقب ، وهي حيث هي جذّة ولألاء .

استوحى الشماخ في هذه القصيدة عاطفته ، فوصف قوسًا
صنعها قوَّاس ثم باعها ، فترقرقت تلك العاطفة بمداول
الحب والحنان ، وترنمت بأصوات الزهو والاعتزاز ،
واضطربت بمارج اللوعة والأسى ، في وصف ساحر بارع ،
شَمَخ به الشماخ على عظماء الشعر ممن استلهموا الهياكل
والجبال المقدسة .

وتذكّرنا قَوْسُ الشماخ بثرس أوميروس الذي صنعه

سادنُ النار المؤلّه للبطل أخيل ، وجعله أسطراباً للأفلاك
وأجرام السماء ، ومحوراً للأرض وما تحويه من خلائق
وكائنات . وفي كلا الوصفين من روائع الخيال ورقائق الفن ،
ما لا يسلس زمامه إلا للنفس المحلقة والبيان المجنح . وم
لقصيدة الشماخ في تراثنا الجليل من أشباه ونظائر ،
لو نُزعت الغلالات عنها وجُليث للناس ، لتكوننَّ الشاهد
العدل على العبقرية العربية .

وليست الجوانب الفنية في قصيدة الشماخ ،
ولا العواطف النبيلة فيها ، ولا الصلات الروحية بين الفن
وصاحبه ، ليس كل هذا هو الذى حدانا على كتابة هذه
الكلمة ، بل دفعنا إليها اغتباطنا بأن نجد الفن مجازاً يصل

بين الأرواح المجنّدة ، وموضوعًا تجرّى عليه رسائل الإخوان ،
فترقّ على سبحات الفن إلى سموات الفكر وفراDIS الأدب
الخالد .

التقى صديقنا ، رفيق الصبا وخِذْن الشباب ،
الأستاذ محمود محمد شاكر ، بصاحب دار المعارف
شفيق مّترى ، ولم يكونا قد التقيا من قبل ، وتطرق الحديث
بينهما إلى الكلام على العمل وتجويده ، والفن وسحر
أواخيه ، فإذا بالرجلين روحان مؤتلفان متعارفان ، يقدر كل
صاحبه ، ويكبر فيه الهمة الوثابة والهيّام بالمثال الأعلى .

وشاء صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أن يخلّد ذلك

اللقاء برسالة يعبر فيها عن نظرتة إلى الإنسان وإلى الفن ،
فكانت قصيدة الشماخ هي المنفذ الذى نفذ منه إلى تصوير
أعماق النفوس ، وإبراز المعانى التى مسّها الشماخ مسّاً
رفيقاً ، فانقلبت صوراً حية ناطقة ، وأبانت عن مرامى
الشعر وأهدافه ، وتألّفت منهما ملحمة شعرية فريدة فى
بائها ، تحتل مكانها من الشعر الإنسانى الخالد .

عادل الغضبان

(مجلة الكتاب)

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ

أول فبراير سنة ١٩٥٢ م

الناشر
دار المَدَنِي بِمَجْدَة
ت ٦٧١٣٤٢٤ ص ب ١٨٤٨٥

مطبعة المَدَنِي
المؤسسة السعودية بخصر
٦٨ شارع اليابانية - القاهرة. ت : ٨٥٧٨٥١